الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

المركز الجامعي أكلي محند أولحاج - البويرة -
معهد الأدب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

الاغتـراب في شعـر مصطفى محمد الغماري ديوان أسرار الغربة _ نموذجا -

مذكرة تخرج لنيل شهادة الليسانس للغة والأدب العربي.

إعـــداد :
- شوبان سهيلة
- شوبان لينـدة

المشـــــرف :
- أ/عبد القادر لباشي

السنة الجامعية:2011/2010

إهـــداء

إلى التـــي حملتني كرها ووضعتني كرها إلى التـــي سقتني عطفا وحنانـــا
إلى التـــي كـانت شـمسا نهـــاري إلى التي كانت قمرا تسهر في منامـي
إلى التـــي كانـت تترقب مجيئـــي إلى أفضل كلمة ينطـق بها لسانـي

أمي الحبيبة

إلـى الذي زرع بداخلي حب الدراسة إلى الذي حرص علـــى تربيتـــي
إلـى الذي كان يحـــترق لأنير أنا إلى الذي تجرع المر ليذيقني العســل

أبي العزيز

إلى كل إخوتي وأخواتي: ليندة وزوجها فيصل، ليلى وزوجها شهير، محمد، أحلام، والطفل المدلل عماد الدين الحسين.
وإلى روح أختي الطاهرة " أسماء " رحمها الله.
إلى أبناء إخوتي الكتكوتين: لينـا وعبد الرحيم.
إلى صاحبة الوجه الناضر أمي الثانية " يمينة ".
إلى الذي كان سندا طول المشوار وتقاسم معنا هذا الانجاز" فيصل قنان".
إلى جميع أفراد العائلة الكبيرة: شوبان ولومي وقنان، كبيرا وصغيرا.

إلى من قاسمني سنـوات الجامعـة: فايزة المرحة، سميحة، أمينة، خديجة، سمية، نادية، حسينة ،ريمة، رزيقة، زليخة، رزيقة، ليلى ...

إلى الصداقة تفوح أخوة ومحبة فكانت لي معهن ألف ذكرى: وردة، كلثوم، سعاد، شافية، زيتون المشاكسة والمحبوبة...

إلى كل لم تحملهم سطور ورقتي ... فحملهم قلبي ...

- سهيلـة -

إهـــداء

إلى أحب الناس وأقربهم إلى قلبي،إلى قرة عيني **والدي الحبيب حفظه الله.**
إلى التي سهرت الليالي وكابدت لأجلي الساعات وتحملت متاعب الدنيا لأجل راحتي **أمي الغالية**.

إلى زوجي الذي تحمل معنا عناء إنجاز هذا البحث: **فيصل**.
إلى إبنتي العزيزة وصغيرتي، **لـينا** العسل.

إلى إخوتي وأخواتي: ليلى، محمد ، سهيلة ، أحلام، والصغير عماد الدين الحسين.

إلى جميع أفراد العائلة الكبيرة: **شوبان ولومي وقنـان**، كبيرا وصغيرا.

إلى الذين حملوا شعلة العلم، زميلاتي إلى كل هؤلاء أهدي ثمرة جهدي.

- لينـدة -

شكـر وعرفان

نحمد الله ونشكره القائل في **كتابه الكريم:" و لئن شكرتـــم لأزيدنكـــم "**

ثم نشكر كل من ساعدنا لإتمام هذا العمل ونخص:

المشرف الأستاذ: **"عبد القادر لباشي"** لإشرافه على هذا البحث.

إلى كل من أشرف على طباعة هذا البحث خاصة**" فيصل"**.

كما نشكر كل من أمدنا يد العون طول مدة إنجاز هذا البحث .

سهيلة ـ لينـدة

مقدمـة:

يعدَّ الاغتراب من بين المصطلحات التي عرفت طريقها في الدّراسات الحديثة، إلاّ أنّه كشعور وجد بوجود على المعمورة .

ولمّا كان الشاعر العربي معروف بحسّه المرهف وتأثره السّريع، كان عليه أن يعيش مأساة الاغتراب على مرّ العصور، فقد اقتصر الاغتراب عند الشّاعر العربي القديم في البعد

عن الوطن، وفراق الأهل والحبـة، ليأخذ مفهوما مغايرا في الشعر الحديث ، أين أصبح الشّاعر يعيش الاغتراب وسط أهله و في وطنه، ومن هؤلاء الشّعراء، الشّاعر الجزائري مصطفى محمد الغماري، النموذج المثالي لهذه الظّاهرة.

فالإشكالية المطروحة: فيـم تمثـل الإغتـراب في أدب الغمـاري؟

وما هي مظاهره وأثاره على المستوى الفني ؟

ولعلّ السبـب الذي دفعنـا لاختيـار هذا الموضوع، يعود بالدرجة الأولى إلى قناعتنا بهذا الموضوع، ورغبتنا الشّديدة في معرفة مواطن الاغتراب عند الشّعراء العرب، أمّا عـن سبـب الذي دفعنا لاختيار الغماري أنموذجا، يعود أولا إلى أنّ الغماري رمزا للتحدي والمقاومة علاوة على ذلك كلّما قرأنا له ينتابنا شعور مأساوي حزين، فأردنا البحث في هذا الشّعور علّنا نجـد له تفسيرا.

أمّا المنهـج المتّبـع خلال هذه الدراسة هو المنهج التّحليلي الذّي يهتّم بتحليل هذه الظاهرة ويوضّح خصائصها وأسبابهـا التي تتحكّم فيها.

أمّا بنيـة البحث ينقسم إلى مدخل وفصلين، تناولنا في المدخل سيرة مصطلح الاغتراب. وتطرقنا في فصل الأول إلى" الاغتراب في الشعر العربي"وخصصناه لمفهوم مصطلح الاغتراب لغة واصطلاحا، وإلى أسبـاب الاغتراب، كذلك الإشارة إلى تطـور هذه الظاهرة عبر العصور قديما وحديثا بداية من الشعر الجاهلي إلى الشعر المعاصر.

وفي الفصل الثاني تناولنا الجانب التطبيقي بالدراسة والتحليل الاغتراب في الشعر الغماري ديوان أسـرار الغربة نموذجـا، تناولنا فيه حيـاة الشاعر ونتاجه الشعري، وإلى أهـم مظاهر الاغتراب في شعـره وهي الثورة على الواقع ، الهروب من الواقع، التشاؤم والحزن، وإبـراز أثـره من خـلال: الألفاظ والعبارات، الأسلوب، الرمـز، والصورة الشعرية.

ختمنا هذا العمـل بخاتمة لخصنا فيها أهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال دراستنا.

ولقد اعتمدنا خـلال هذا البحـث على بعض المصادر والمراجع التي استطعنا الحصول عليها: ديـوان مصطفى محمد الغماري " أسـرار الغربـة "، الغربـة والحنيـن في شعر الفلسطيني لأمين صالح محمود العمصي وغيرها من المراجـع.

ولقد صادفتنا بعض الصعوبات في الحصول على الدواوين الخاصّة بالشعراء القدامى.

وفى الأخيـر نتقـدم بالشّكـر الجزيل إلى الأستاذ المشرف عبد القادر لباشي الذي استفدنا من توجيهاته القيمـة.

ونرجـو أن يكون بحثنـا هذا في مستوى الجهد الذي بذلنـاه وفي مستوى الموضوع الذي اخترنـاه، ولله التوفيق.

*** مدخـل:**

عند ما تتحول الحياة إلى نقطة سوداء ويتحول الكون إلى لّيل مظلم، وحين يحاول المرء فَهْم هذه الحيـاة وتفسيرها ، يصبح الواقع والمحيط أشباحاً تطارده ليرحل وحيدًا غريبًا تائهًا في بحر الضّياع والتّمزق ليبدأ رحلة اغترابه.

فمصطلح " الإغتراب" يعد من بين المصطلحات التي عرفت طريقها إلى الدراسات الحديثة ،كما نجد أنه حظي باهتمام الفلاسفة ومعظم الدارسين في مختلف العلـوم ، فتعددت الدراسـات وكثرت الآراء من أجل إزالة الغموض عنه،"وإن الدخول إلى عوالم مصطلح الإغتراب من أشق المهـام لما في ذلك المصطلح من مراوغة إكتسابها من طبيعته الزئبقية التي تجددت وظهـرت بطرق مختلفة عبر العصور"[1] ، وعلى الرغم من بروز هذا المصطلح في شتى العلوم الإنسانية ،إلا أنه مصطلح غير واضح المعالم ومن الصعب فك الغموض عنه.

وإن الحديث عن سيـرة هذا المصطلح تجعلنا نتحدث عن الإنسـان وعلاقته بذاته من جهة ،وعلاقته بالمجتمع من جهـة أخـرى، يقول محمود رجب: " إن الكلمات شأنها شأن الأشخاص والشعوب، لا تنشأ في قلـب المجتمع البشري ، ومن الصعب فهم دلالته حق الفهـم بمعزل عن المشكلات الإنسانية و الظروف التاريخية التي مرت بعصور مختلفة ممن استخدموه من مفكرين وفلاسفة"[2].

وإذا تأملنا في مسيـرة هذا المصطلح فإننا نحتـاج إلى تعمـق كبيـر لتحديده، وذلك لتعدد التحليلات الفلسفية والاجتماعية والنفسيـة حولـه، وكذا ارتبـاط هذا المصطلح بأهـم الفلاسفة والمفكرين الذين ساهمت آراؤهم في تفسيـره ، فابن حيان التوحيدي عندمـا سئـل عن الغربة وعجائبها أجاب:

" واغرب الغرباء من صار غريبا في وطنـه، وأبعد البعداء من كان بعيدا في محل قربه.

ويقـول أيضـا: الغريب من إذا قال لم يسمعـوا قولـه، وإذا رأوه لم يدوروا حولـه الغريب من إذا أقبل لم يوسع له، وإذا أعرض لم يسأل عنه"[3].

وإذا جئنا إلى أهم الدراسات الفلسفية حـول مصطلح الإغتراب فإننا نجد تعدّد الآراء واضحًا بين الفلاسفة، وقد كان هيجل " أول مفكر يستخدم مصطلح الإغتراب على نحو منهجي، ويصل به إلى الإزدواجية دلالة المصطلح فهو يـرى المعنى الإيجابي الذي يتمثل في تخارج الـرّوح وتجليه على نحو إبداعي، مثلما يـرى المعنـى السلبـي الـذي يتمثل في عـدم قـدرة الذات

---

[1] : أحمد أبو زيد، الإغتراب مجلة عالم الفكر، الكويت، العدد الأول، 1979، مج1، ص:10 .

[2] : محمود راجب، الإغتراب سيرة المصطلح ،دار المعرف، 1986، ط2 ، ص:08.

[3] : مجاهد عبد المنعم مجاهد ،الإنسان والإغتراب، سعد الدين، للطباعة والنشر، القاهرة،ط1 ،1985 :ص:117-118.

على التّعرف على ذاتها في مخلوقاتها من الأشياء والموضوعات"[1].

وإذا تتبعنا مفهوم هذا المصطلح في الدراسات الفلسفية فإننا نجد الاختلاف واضحًا بين الفلاسفة مثل**"روسو"** الذي يرى: أن الإغتراب يكمن في انفصال الإنسان عن ذاته ومجتمعه. ولا تقف دراسات علماء النفس بعيدا عن هذه المعاني، فعالم النّفس الأمريكي**" إيريك فروم "** يرى " أن الإغتراب هو تنازل الإنسان عن ذاته إرضاء للآخرين وبهذا يصبح آليا بدون شعور، لكنه دفع الثمن غاليا وهو فقدانه لذاته"[2].

وكثيرًا ما نرى أن مصطلح الإغتراب إرتبط بمفهم التشيؤ* في الدراسات الغربية الحديثة وهذا ما نراه عند المفكر المعاصر **"** دانيال **"** الذي ذهب إلى أن الإغتراب له معنى مزدوج هو الغربة والتشّيؤْ، والغربة هي حلة إجتماعية نفسية يشعر خلاله الإنسان بوجود مساحة عن مجتمعه فينفصل عنه، والتشّيؤْ **"** هو مقولة فلسفية تعني أن الفرد يعامل كشيء ويتحول إلى شيء وتُنزع عنه شخصيته يعني إنقلاب الذات إلى شيء والعكس بالعكس"[3].

ومن هذا المنطلق يمكن أن نشير إلى مجموعة متميزة في المجتمع، وهذه المجموعة هي نخبة المبدعين الذي يعتقد علماء النفس**"** أن تلك الفئة الذات التكوين النفسي المتميز لها شبكتها العصبية المختلفة فيقولون في هذا الصدد أن أعصاب البشر تحت جلودهم، أما الشعراء فأعصابهم فوق جلودهم، ولذلك كانت إستجابتهم تحمل أكبر قدر من الإنفعال باللحظة الراهنة

مدخل سيرة مصطلح الاغتراب

لأي من المأثرين الألم والفرح، هذا ما يجعل الإغتراب وسيلة للإبداع والإبحار في أعماق الخيال والشعور"[1].

وهكذا بات الاغتراب ظاهرة إنسانية نلتمسها بشكل أو بآخر في مختلف المجتمعات والثقافات لا يتميز بها عصر دون أخر، وفي أغلب الأحيان تصبح هذه الظاهرة بكل ما تحمله من صراع نفسي وإجتماعي ، قضية أدبية عرفت منذ أقدم العصور، وكانت ملهم الشعراء على مر العصور ،لذلك نجد الأدب العربي فواح بزفرات البعد والفراق، أي أدب المغتربين.

وإذا كان مفهوم الإغتراب من المفاهيم الفكرية التي ظهرت في الدراسات الحديثة، فإن جذوره ضاربة في أعماق التاريخ، ويتبين لنا ذلك من خلال العديد من الدراسات الأدبية التي أشير من خلالها إلى ظاهرة الإغتراب خاصة في القرن الثالث الهجري منها:

1- " حنين الإبل إلى الأوطان" لربيعة البصري (55 هـ).
2- " حب الوطن" لعمرو بن بحر الجاحظ (255 هـ).
3- " الشوق إلى الأوطان " لإبن حاتم السجستاني (255 هـ).
4- " أدب الغرباء " لأبي الفرج علي بن الحسن الأصفهاني (بعد 255 هـ).
5- " الحنين إلى الأوطان " لأبي الحيان التوحيدي(418 هـ) "[2].

---

[1] : محمود راجب الإغتراب سيرة المصطلح، ص:11.

[2] : مجاهد عبد المنعم مجاهد، الإنسان والإغتراب، ص:29.

*التشيؤ:**"**مفهوم ظهر من كتابات الناقد الفرنسي**"** جولد مان**"** في الستينات لدلالة عن إختفاء الشخصية في الرواية الفرنسية الجديدة، وحلت محلها الأشياء التي تقضي على كل مبادرة إنسانية، أي حل مكان الشخصية واقع مادي مستقل عن العالم، حيث تتحول الشخصية نفسها إلى موضوع تتبدل إلى شيء مستقل عن نشاطها وإرادتها**"**.أنظر سمير سعيد حجازي، قاموس المصطلحات النقد الأدبي المعاصر، دار الأفاق العربية للنشر، القاهرة،2001 ، ط1 ، ص:115.

[3] : ينظر: مجاهد عبد المنعم مجاهد، الإنسان والإغتراب ، ص:47.

[1] : عبد العزيز المقالح، الشعر بين الرؤيا والتشكيل، دار العودة، بيروت، ص:26.

[2] : فاطمة طحّطح، الغربة والحنين في الشعر الأندلسي، منشورات كلية الأداب والعلوم الإنسانية، الرباط،1993،ط1 ، ص:5-6.

وغيرها من المؤلفـات التي تناولت ظاهـرة الإغتراب .

الفصل الأول:

الاغتـراب فـي الشّعـر العربـي.

1 – تعريف الاغتراب:

أ - لغـة.

ب - إصطلاحا.

2 - أسباب الإغتراب:

3 – الإغتراب في الشعر العربي قديما وحديثا:

أ – قديمـا:

1- في الشعر الجاهلي.

2- في شعر صدر الإسلام.

3- في الشعر الأموي.

4- في الشعر العباسي.

ب – حديثـا:

1- في الشعر الحديث.

2- في الشعر المعاصر.

1- تعريف الاغتراب :

أ- لغة :

استخدمت المعاجم العربيـة ألفاظا كثيرة ذات دلالات متقاربة لتحديـد مفهوم الغربـة.
فقد ورد في لسـان العـرب لإبن منظور: غـرَبَ بمعنى بَعُـدَ، يقال أَغْـرَبَ عني أي تباعد ،وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم، أمـر بتغريـب الزاني عن البلـد الذي وقعت فيه الجناية، إذا لم يحض وهو نفيـه من البلـد[1].
يقال: أَغْرَبْتَهُ وغُرْبَتُهُ إذا نحيته وأبعدته، والتَغَرُبْ هو البعد، والغُرْبَةُ والغُرْبُ النزوح عن الوطن والاغتراب .
قال الملتمس من البحر الطويل:

أَلاَ أَبْلِغَا أَفْنَاءَ سَعْد بَنّ مَالِك رِسَالَة مِنْ قَدْ صَارَ فِي الغَرْبِ جَانِبِهِ[2]

ونقول : تَغَرَبَ وإِغْتَرَبَ: من الإِغْتِرَابِ والتَغْرِيبِ، ورجـل غُرُبَ بضـم الغـين والـراء وغَرِيبْ بعيد عن وطنـه وجمعـه غُرَبَـاءْ والأنثى غَرِيبَة، وقد سئل النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "الذي يحيون ما أمات الناس من سنتي " ، ويقول في حديث آخـر" إن الإسلام بدأ غريبـا وسيعود غريبا ،كما بدأ فطوبى للغرباء ".
وإِغْتَرَبَ الرجل نكح في الغرائب وتزوج إلى غير أقاربه ، وأعزب الرجل صاَر غريبـا ،ورجل غَرِيبْ ليس من القوم.
وجاء في القاموس المحيط لفيروز الابادي " الغُـرْبُ : المَغْرِبْ والذهاب والتنحي والنزوح عن الوطن"[3].
غَـرُبَ بمعنى غَـابَ كغَرُبَ وبَعُدَ وإِغْتَرَبَ تزوج في غير الأقارب، وورد في تـاج العروس من جواهر القاموس، الغرب التنحي عن الناس والنوى والبعد.

الفصل الأول الاغتراب في الشعر العربي

"والغُـرْبُ بالضمة النـزوح عن الوطـن والإِغْتِرَاب والتَغَرّبْ أيضا البعد ونقول منه: تَغَرَبَ وإِغْتَرَبَ "[1]
ولتشـاؤم العرب القدامـى من الغُـرَابِ اشتقـوا مـن اسمه الغُرْبَـةِ والإِغْتِرَابِ والغَـرِيبِ.
قـال الجاحظ:" وليس في الأرض بـارح ولا نطيـح ولا قعيـد، ولا أغضـب، ولا شيء مما يتشاءمون به إلا والغُرَابِ عندهم أنكد منه يرون أن صياحه أكثر أخبارا،وأن الزجر فيه أعم"[2]

---

[1] : ابن منظور: لسان العرب المحيط، دار الجيل بيروت 1988، ج4 ، ص:966.
[2] : الملتمس: هو جدير بن عبد المسيح، بن بني ضيعية ، وأخواله بن يشكر ،وكان ينادم عمر إبن هند ملك الجرة، ديوان الملتمس، الضبي،إبراهيم عبود ياسين ، السامرائي،المورد، (بغداد) ،1973 ، مج 2 ، ص:105.

[3] : محب الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، القاموس المحيط، دار الجيل ببيروت ج1، ص:113.
[1] : محب الدين فيض السيد محمد مرتضى الحسيني الواسيطي الزبيدي: تاريخ العروس من جواهر القاموس، ص:316 .
[2] : الجاحظ ابو عثمان: الحيوان، دار الجيل بيروت 1965، ج2 ، ص:316.

أما في المعجم العربي الحديث " لاروس " جاء: " غَـرُبَ غَرْبًا ذهب فلان عنا، تنحـى عنا فـي سفره أي تمادى"[3]
غرُبَ الرجـل أي بعد وغَربَ الكوكب: غَـابَ،غَرْبًا وغُرْبَةَ الرجل نزح عن وطنه، والغُرْبُ هو الغَرِيبْ والغَرِيبَة تعني البعد.

ب- إصطلاحا :

مصطلح الاغتـراب Aliénation من أكثـر المصطلحات تداولا في العصـر الحديـث وعلى الرغم من أن الدراسات حوله لا تزيد عن المائة وخمسين سنـة الماضية إلا أنه موضوع قديم قـدم الإنسانية نفسها.

ورغم كثرة الكتابات حـول مفهوم الاغتراب إلاّ أن هذا المصطلح ما زال غامضا نوعا ما ،مما ولد اختلاف الآراء وتعـدد الأقوال حوله.

ولكن المفاهيم كلها تصب في قالب جوهري واحد هو أن الاغتراب حالة تستولي على المرء فيعيش في قلـق و كآبة، ويـعاني من توتر نفسي، وقلق مـؤرق، لشعوره بالبعـد عمن يهوي ويرغب وحرمانه القـرص التي تجعله قـادرا على المشاركة في نشـاطات يستطيع من خلالها إثبات نفسـه، وذلك بسبـب سلطة فوقيـة تفـق حائلا بينه وبين بعض حقوقه الوجودية فيعيش عزلة حيث يـرى قبلان المحالي أن : " هذه العزلـة تتمثل في عـدم الشعور بالانتماء للعمـل بعناصره المختلفة و الشعور بالغربة عن الذات، وهذا يؤدي إلى انعدام تحمـس الفرد لعمله"[1]

وجاء في الدراسات الحديثة تغييرات نفسية واجتماعية لمفهوم الغربة إذا أن هيجل وهو أول من أدخـل الاغتراب كمفهوم إلى علم الاجتماع من خلال الفلسفة المثاليـة يرى أن:" الاغتراب في صميم نسبة الحياة الكلية "[2]

وهو نتيجـة لذلك الانفصال الذي حدث بين الإنسان و الطبيعة جراء الظروف الخاصة بالعمـل

---

[3] : خليل الحر: المعجم العربي الحديث (لاروس) مكتبة لاروس باريس 1987، ص:874.

[1] : قبلان المحالي: العلاقة بين الاختصاص الأكاديمي وبعض جوانب الاغتراب وفقا لمقاييس دوايت دين، دراسة ميدانية مجلة اليرموك، الأردن، ع4 1993، ص: 347.

[2] : حلمي إبراهيم عبد الفتاح:الغربة في شعر أسامة بن منفذ، مجلة مؤتة،جامعة مؤتة الأردن،مجلد8 ع2،1993،ص:70.

والإنتاج التي تعقدت بمرور الزمن، وعدم قدرة الإنسان على التحكم في الطبيعة، وعلى إحداث تغييرات على محيطه، هذا ما ولد لديه الإحساس بالاغتراب، إذا أنه فقد السيطرة على ما أنتجه ، ووجد نفسه تحت رحمة الآلة وفي خدمتها بعد ما كان يظن أنه سخرها لخدمته.

أما كارل ماركس فقد أكسب الاغتراب شكلا اصطلاحيا:" فجعل العمل وتقسيمه وشروطه ،ومن ملكية وسائل الإنتاج أبرز العوامل المسؤولة عن خلق ظاهرة الاغتراب "[3]

ويرى الوجوديون أن سبب الاغتراب هو الانفصال عن الواقع والممكن في الوجود الإنساني، فوعي الإنسان مكنه من إدراك الإمكانيات، وأن يتصور ما ليس قائما لأنه يملك موهبة القدرة على تجاوز حدود وجوده ذهنيا، وهذا الوعي والقدرة على التجاوز يتيحان له تحقيق كافة إمكاناته.

أما فرويد في تفسيره النفسي، فقد ربط الاغتراب بعدم تحقق الرغبات الجنسية فينتج عن ذلك شعور الفرد بالاغتراب و في كل مرة يجد الفرد عائقا أو حائلا يحول بينه وبين تحقق رغباته، وهذا الحائل يكون إما اجتماعيا أو دينيا.

وقد ربط مصطلح الاغتراب بظاهرة الأنومي (ANOMIE) وهي شعور الفرد بالعجز وعدم قدرته على التأقلم مع القواعد السلوكية العامة، حيث يرى دوركايم:" الأنومي موقف تتفكك فيه المعايير الاجتماعية فتبدو غير قادرة على ضبط سلوك الفرد "[1]

ويرى نتلر أن الشخص الذي الاغتراب قد يدمن على الكحول أو المخدرات أو يرتكب سلوكات إجرامية، كما أنه لا يستطيع تحمل المسؤوليات الاجتماعية كالزواج مثلا ، وتختلف هذه السلوكيات حسب المنظور الشخصي لكل فرد تجاه الوجود و الحياة [2]

كما أن العزلة مرتبطة بالاغتراب، وتستعمل بالأخص في وصف وتحليل دور المفكر أو المثقف الذي يطغى عليه الإحساس بالتجرد، وعدم الانسجام النفسي والرغبة في الانسجام من المجتمع (Renonciation).

كما حظيت ظاهرة الاغتراب، باهتمام المفكرين العرب، حيث يرى إبن باجة أن الشخص الذي يعاني الاغتراب إنسان فاضل، يعيش في مدينة غير فاضلة، ويرى أن هناك أشخاص قلائل يسميهم النوابت كالفلاسفة والأطباء والقضاة مكانهم الطبيعي هو المدينة الفاضلة غيرأن وجودهم في المدينة غير الفاضلة ضروري لنفع هذه المدينة ورعايتها فيعيشون فيها غرباء.

ويرى قيس النوري أن للاغتراب عدة معاني منها: الانفصال الحتمي والمعرفي لكيانات أو عناصر معيشية في واقع الحياة و وعي الفرد بوجود الآخرين واعتبارهم شيئا مستقلا عن نفسه، وانعدام القدرة والسلطة التي تعني الشعور بالعجز.

الفصل الأول الاغتراب في الشعر العربي

[3] : قبلان المحالي: العلاقة بين الاختصاص الأكاديمي وبعض جوانب الاغتراب وفقا لمقاييس دوايت دين، ص:484.

[1] : قبلان المحالي: العلاقة بين الاختصاص الأكاديمي وبعض جوانب الاغتراب وفقا لمقاييس دواين دين، ص:439.

[2] : جازية كرام: الاغتراب العمالي في منشأة صناعية جزائرية، عوامله ونتائجه،1988، ص:31-32.

أما حلم بركات فيرى أن المجتمع هو المسؤول الأول عن ظاهـرة الاغتراب حيث يجعل من الفـرد كائنا عاجزا لا يستطيع مواجهة مختلف تحديات العصـر إذا أن المجتمع في حد ذاته مصاب بحالـة اغتراب ، فهو لا يملك إيراداته ولا حتى مصيره والاغتراب ظاهـرة مرتبطـة بالحضارة، حيث أن المقارنة مع الأرياف والقرى أظهـرت أن المـدن هي التي تخلق مشكلـة الاغتراب بصنف الروابـط الاجتماعية، وعدم الاشتراك في القـيم والمعايير، وضعف المعرفة الشخصية مما يؤدي بالفرد إلى التعامل مع الآخرين كغرباء.

2- أسباب الاغتراب :

أسبـاب الاغتراب عديدة ومن الأسباب المؤدية إليه عدم الانسجام النفسي مع المحيط وهذا بدافع التشاؤم واليـأس الذين يغلبان على الشخص ويتمكنان من نفسيته فيعاني الاغتراب، ويعود هذا إلى الشعـور بالعبقرية التي يظن من الرومانسيين أنهم يتمتعون بها دون غيرهم، وعندما لا تجد عبقريتهم التقديـر المناسب من المجتمع تغتـر العلاقـة بينه وبين مجتمعه، وتزداد الهـوة في الاتساع، وذلك برفضه لأفكـار مجتمعه والتي لا تنسجم وأفكـاره وعدم الخضوع لتقاليـده ومعتقداته فيخلق هذا سدا منيعا ، وحاجزا سديدا بينهمـا، وعندما يعجز هذا الفرد عن تغيير هذه الأفكـار أو التجديـد فيـها، يعلن تمرده عن مجتمعه ، وعصيانه له فيتولد ذلك الإحساس حول الانفصال عن المجتمع وبالتالي عدم الانسجام مع أفراده، ومن كل هذا يتولد الصراع الذي يحمل معنى أو يسمى الاغتراب.

فالاغتراب قد يكون سببـه الوحـدة ، فإحساس الفـرد بالوحدة ونسبية معرفته و محدودية قدرته، يولد لديه قلقـا دائما يطارده ويلازمه حتى يصبح جزءا من طبيعته ، ويصاحبه شعـور بالظلم والاضطهاد و استلاب الحرية والإرادة والمعاناة والإحساس بالوحدة والقضاء المحتوم.

ضمن كل هذا وذاك يدرك الإنسان إدراكا تاما بأنه خاضع لقوة جبرية غير مدركة لا تسمح له إلا بالتحرك المحدود نحو العدم الفنـاء، فيحس بعدم تكيفه وانسجامه مع مجتمعه، فيؤدي ذلك إلى سلوكيات وأفعال وردود أفعال مرفوضة من طرف المحيط الاجتماعي ، كالعزلة الناتجة عن إعطاء الفرد قيما متدنية لأهداف ومعتقدات هي في حقيقة الأمـر ذات قيمة عاليـة في المجتمع ،وذلك برفض القيـم التي سادت والسعـي لاستحداث وإنشـاء قيم جديدة، فينسلخ المغترب عن واقع مجتمعه، ويستولي عليه شعور أو إحسـاس بالتمزق، وتتسع الهـوة التي كانت تفصل بينه وبين الواقع الحقيقي المفروض عليـه لأنه ينشد حيـاة مثلى ، وفي معظـم الأحوال يؤدي ذلك الصراع الذي كان بينه وبين مجتمعه أو واقعه المعيشي إلى حالة من الضياع فيكتشف أن روحه غريبة عن هذا العالم المعيشي الذي يبدو له مزيف وبالتالي يفقد الرغبـة التامـة في العيـش والانتماء إلى واقعه.

وللاغتراب أسبـاب اقتصادية قد تؤدي إليه ترتبط بالتقدم الصناعي والحداثة التكنولوجية والثـورة الصناعية بصفة عامة والتي عرفتها أوربا في القـرن الماضي إذا أدى تقسيم العمـل إلى تغريب العامل عن عملـه، بحيث فقد الشعور بالوحدة مع عمله و نفسه، وكأنه يوجد نشاطه وإنتاجـه ضد ذاتـه حيث يقول نبيل راغب: " والمأساة أنه لا يستطيع التوقـف عن هذا النشاط وإلا فقد القدرة على مواكبة الحياة ذاتها"[1]

وقد أصبحت العلاقـات الاجتماعية حاليـا مرهونة أو مرتبـطة أساسا بالعرض والطلـب والعمـال هنا غربـاء عن بعضهم البعض، كما أن البضائع المعروضة، منفصـلة عن بعضهم

[1] : نبيل راغب: مفهوم الاغتراب في الأدب، مجلة الفيصل، دار الفيصل للثقافة ع:96، مارس1985، ص:46.

البعض، كما أن البضائع المعروضة منفصلة عن الإنسان الذي نقلها إلى السوق وبالتالي يغترب العامل عن نفسه.

لقد أصبح الإنسان جمادا أكثر منه مخلوقا حيا ينبض بالحياة، لأنه يعاني من انطماس الشخصية بشكل متزايد ، نتيجة لتزايد معارفه وخبراته المختلفة ويعاني أيضا من غموض العلاقات الاجتماعية العامة ، فقد تكون للأوضاع السياسية دخل هي الأخرى في ظاهرة الاغتراب عن طريق رفض الفرد لمجموعة من القوانين والتي قد لا يتقبلها ولا تنسجم مع مشاريعه وأفكاره وحتى تطلعات مستقبلية و بالتالي فهو يتصدى لها وقد يثور عليها، سواء أكان الحكم استعماريا بغرب الفرد عن مقوماته الشخصية الأساسية كاللغة والدين والوطن أم كان الاغتراب ناتجا عن عدم قدرة الفرد على مواجهة السلطة التي تجعله متهما دون أن يدرك جريمته ، وبالتالي هنا تنفصل الدولة عن المواطن تماما مما يولد لديه شعورا وإحساسا بالغربة واليأس من كل تغيير إيجابي، مما يدفع بالفرد إلى التقوقع والانعزال في حياته الخاصة، وتمس ظاهرة الاغتراب في العصر الحديث نسبة كبيرة من الأشخاص لكن بدرجات متفاوتة حيث يقول نبيل راغب في مجلة الفيصل :" عندما فشل إنسان العصر الحديث في الانتماء إلى الحياة والمجتمع فإنه رفع لواء اللاإنتماء تعبيرا عن سخطه المتزايد والسلبي تجاه مظاهر الاغتراب التي تحيط به من كل جانب"[2]

ومن أسباب الاغتراب كذلك الأسر والحبس، فالشاعر العربي عندما يقع في الأسر تتولد في نفسه أحاسيس المهانة والذل والهوان، فيصبح فريسة الوحدة المريرة ، نظرا لسلب لحريته وعدم معرفة ما يخفي له ذلك المستقبل المجهول الذي ينتظره مع الأعداء [1].

ويعد التصوف من أسباب الاغتراب الروحي :" فالزاهد المتصوف لا يرحل عن أهله ولا يبتعد عن موطنه بجسمه، ولكنه يعيش بينهم أو قريب منهم، وان كان ينا بسلوكه، فهو يخالفهم في فهمه لها المبني على التأمل الذي يؤدي إلى اقتناعه و يقينه بنانها دار الفناء وليست دار الخلود أو البقاء ، فلا يأبه لما يعرض فيها من متاعب و زخرف، وإنما يصب اهتمامه على ما بعدها"[2].

ومن أمثال هؤلاء المتصوفين، نجد رابعة العدوية ،ابن الفارض، ابن عربي، الشبلي الأمير ، والحلاّج الذي يقول في هذا الصدد معبرا عن ذلك الاغتراب الناتج عن التصوف فيقول[3]:

أَنَا مَنْ أَهْوَى ومَنْ أَهْوَى أَنَا نَحْنُ رُوحَانِ حَلَلْنَا بَدَنَا
نَحْنُ مَذْ كُنَّا عَلَى عَهْدِ اَلْهَوَى تُضْرَبُ اَلأَمْثَالُ لِلنَاسِ بِنَا
فَإِذَا أَبْصَرتَنِي أَبْصَرتَهُ وَإِذَا أَبْصَرتَهُ أَبْصَرْتَنَا
أَيُّهَا اَلسَائِلُ عَنِ تَصِبَّيتُنَا لَوْ تَرَانَا لَمْ تُفَرِقْ بَيْنَنَا

---

(2) : المرجع نفسه ص:48.

(1) : أمين صلح محمود العمصي،الغربة والحنين في الشعر الفلسطيني، منشورات جامعة قار يونس بن غازي،ط1، 1995 ،ص:52.

(2) : المرجع نفسه ص:48.

(3) : مجاهد عبد المنعم مجاهد ، أبعاد الاغتراب ، الإنسان والاغتراب ، سعد الدين ،للطباعة والنشر،القاهرة،ط1985،1 ص:94.

رُوحُهُ رُوحِي وَ رُوحِي رُوحُهُ مَنْ رَأَى رُوحَيْنِ حَلَّتْ بَدَنَا

فالحلاّج هنا يسعى إلى الانتقال من تصوير الواقع إلى مقام البقاء الابدي عند الله سبحانه و تعالى ويتجاوز بذلك تلك الوحدة التي يعانيها بانفصاله عن الآخرين، بحب الله وعشقه العوز والفقر هما أيضا من أسباب الاغتراب فقد كان العرب بطبيعتهم البدوية كثيرة الترحال والتنقل وذلك للبحث عن مواطن المأكل والمشرب، التي هي من أهم أسباب الحياة و قوامها عندهم، لذا نرى هؤلاء الشعراء فيما مضى من الزمن يتحدثون كثيرا في أشعارهم عن الأطلال،والدمن ويبكون مراتع الصبا ويدعون للرجوع إليها، وأكثر ما تبرز هذه السمة عند شعراء المعلقات

الفصل الأول الاغتراب في الشعر العربي

كامرئ القيس وعنترة ولبيد بن ربيعة فهم يستهلون القصيدة ببكاء الأطلال والأحباب نظرا لظروف الحياة القاسية التي دعتهم للاغتراب[1].

من أسباب الغربة أو الاغتراب أيضا ما كان يعرف في القديم بالخلع فبحكم ما في القبيلة العربية من أنظمة و تقاليد يجب المحافظة عليها فأي إخلال أو خروج عنها يستوجب خلع المسيئين إليها وتتخلص بذلك عن حماية أبنائها فيهيمون غرباء مشردين في الخلوات يقطعون الطرق و يعتمدون الغزو لتلبية حاجات الحياة وبهذا فهم أشد الناس معاناة بالغربة ويتولد عندهم شعور عميق بالتمزق والضياع[2].

---

[1] : ينظر: أمين صلح محمود العمصي، الغربة والحنين في الشعر الفلسطيني، ص:59.

[2] : المرجع نفسه، ص:61 .

3- الاغتراب في الشعر العربي قديما وحديثا :

أ- قديما:

1. في الشعر الجاهلي:

على المستوى التاريخي نجد وضوحا وغموضا في تلك الفترة المبكرة من فترات الإبداع العربي القديم ، فلا خلاف حول نهاية العصر، فهي محسومة يقينا بمجرد مجيء الإسلام وما صاحبه من تغيير في مجرى الحياة العربية.

فقد عاش الإنسان الجاهلي حياة تتسم بعدم الاستقرار والتمزق والانقسام والقلق، لأنه كان مهتما فقط بضروريات الحياة في ظل حياة قاسية وخشنة ولا ترحم، فإنسان العصر الجاهلي كان يقاتل و يصارع من أجل ضمان وسائل العيش وكسب قوة يومه من أجل البقاء في مجتمع تحكمه القوة والجبروت وتسوده علاقات تتسم بالتوتر والعنف.

فمن خلال هذه البنية القبلية للمجتمع الجاهلي آنذاك توفرت كل الأسباب لتفشي وانتشار ظاهرة الاغتراب.

وتتضح ظاهرة الاغتراب بجلاء من خلال شعر بعض شعراء الجاهلية كعنترة بن شداد الذي رفض وتنكر مجتمعه له كونه ابن أمة سوداء، فقد كان منبوذا من طرف الجميع وينادونه ابن زبيبة إمعانا منهم في نبذه و الحط من مقداره وكرامته إذ يقول في قصيدة من بحر طويل:

" يُنَادُونَنِي فِي اَلْسِلْمِ يَا إِبْنَ زُبَيبَةٍ وَعِنْدَ صدام يَا إِبْنَ اَلأَطَايِب"[1]

فمن خلال هذا يتبين لنا بأن عنترة أول ما فتح عينه (فتحها على الحرمان) على الحياة فتحها وفي نفسه نزعة الحرمان والشعور بالنقص وفي هذا الصدد يقول عبد الله التطاوي :" بدت ثورة عنترة مجرد ضيعة من ضيع التمرد، أوهي بتعبير أدق ، ثورة العبد على التقاليد والنظم الظالمة وأهلها"[2].

فالإنسان الجاهلي قد أستساغ لتجاربه الفردية أن تعلو على كل ما عداها ، فصدر عنها في مواجهة الجماعة أحيانا، وراح الشاعر منهم ينتصر لقانونه الداخلي على كل ما يصطدم به وعلى قول عبد الله التطاوي:" ... فإن وجد ذاته في مجالس المنادمة اتخذ منها له منهجا وأسلوب حياة، ولكنه مع هذا لا يزال مشدودا إلى قومه وأصدائه بألف قيد"[3].

الفصل الأول الاغتراب في الشعر العربي

ويتضح التمرد والرفض خاصة عند الشعراء الصعاليك الذين أعلنوا رفضهم لفلسفة قبائلهم وأعرافها، فكانت لهم رؤيتهم الخاصة ، وكذا فلسفتهم الثائرة ومن بين هؤلاء الصعاليك الشنفري الذي يقول في لاميته من بحر الطويل:

" أَقِيمُوا بَنِي أُمَتِي صُدُورَ مَطِيكُمْ فَإِنِي إِلَى قَوْمٍ سِوَاكُمْ لَأَمِيلُ
فَقَدْ حِمْتُ اَلحَاجَاتِ وَاللَيْلُ مُقْمَرُ وَشَدَّتِ لِطَيَاتِ مَطَايَا وَأَرْحَلُ
وَفِي اَلأَرْضِ مَنْأَى لِلْكَرِيمِ عَنِ اَلأَذَى وَفِيهَا لِمَن خَافَ اَلقَلَى مُتَعَزَلُ
لِعُمْرَكَ مَا فِي اَلأَرْضِ ضَيْفَ عَلَى أَمْرِي سَرَى رَاغِبًا أَوْ رَاهِبًا وَ هُوَ يَعْقَلُ
وَلِي دُونَكُمْ أَهْلُونَ سَيدَ عَمْلَسٍ وَأَرْقَطُ زَهْلُولٍ وَعِرْفَاءِ جِيَالِ
هُمْ اَلأَهْلُ لاَ مُسْتَوْدِعِ السِرِ ذَائِعُ لَدَيْهِمْ وَلاَ اَلجَانِي بِمَا جَرَ يَخْذَلُ"[1]

---

[1] : عيسى حماد عبد العزيز: صراع الإنسان ضد وحش الصحراء عند أصحاب المعلقات، الجزائر،1990، ص:299.
[2] : عبد الله التطاوي: مقدمات في أدبنا القيم ونصوص شعرية ونثرية، كلية الآداب، القاهرة،دار قباء للطباعة،ص:24.
[3] : المرجع نفسه، ص25.

الشنفري هنا يعبر عن همومه التي يعاني منها جراء صراعه مع أبنـاء قومه و السبـب الوحيد هو سواء بشرته لأبنه ابن لأم حبشية ذات بشرة سوداء فهو يعبر عن الانفصال التام بينه وبين مجتمعه.

فها هو امرئ القيس عندما انطلـق يبحث عمن يساعده في استرداد ملك أبيه توجه إلى قيصـر الروم، وفى طريقـه إليه عانى الكثير من الماسي و كان يشعر دائما بالحنين للعودة إلى قبيلتـه وعشيرته يقول:[2]

أَلاَ أَبْلُغَ بَنُو حَجَرٍ بَنْ عَمْرُو وَأَبْلُغَ ذَلِكَ الحَـيَّ الجَدِيدَا
وَلَوْ أَنِي هَلَكْتُ بِدَارِ قَوْمِي لَقُلْتُ اَلمَوْتُ حقّ ُلاَ خُلُودَا
أُعَالِجِ مَلِك قَيصَرٍ كُلَ يَـوْمٍ وَأَجْدُرُ بِالمَنِيَةِ أَنْ تَقُودَا
بِأَرْضِ الشَّامِ لاَ نَسَبُ قَرِيبُ وَلاَ شَافٍ فَيَسْنُدُ لَوْ يَعُودَا

الفصل الأول الاغتراب في الشعر العربي

فنحن أمام تجربة فردية في الغربة، تمثّلت في اغترابه عن المكان وعن الأهل وغربة المـوت في بلاد الروم بعيدا لا يعرفه أحد.

أما عنترة بن شدّاد العبسي فقد عانى هو الأخـر من غربـة نفسية، تولدت بمعاناته من العبودية ،التي فرضت عليه ، وذلك لسواد لونـه ولأن أمه كانت أمة ، على الرغم من أنّ والـده كـان من رجالات عبس المعدودين، بالإضافة إلى كثـرة ترحاله ، وتنقله الدائـم التي تفرضـه عليه ظروف معيشته، فيشتد طلل الشوق إلى الديار وإلى حبيبته عبلة.

يقول عنترة:[1]

أَحْرَقَنِي نَارُ اَلْجَوَى وَالبِعَـادِ بَعْدَ فَقْـدِ اَلأَوْطَـانِ وَاَلأَوْلاَدِ
شَابَ رَأْسِي فَصَارَ أَبْيَضَ لَوْنَا بَعْدَمَا كَانَ حَالِكًا بِالسَّـوَادِ
وَتَذَكَرْتُ عَبْلَةَ يَوْمَ جَـاءَتْ لِوَدَاعِي وَاَلْهَـمُ وَاَلْوَجْدُ بَادِ
وَهِيَ تَذْرِي مِنْ خِيفَةِ البُعْدِ مُسْتَهِلاً بِلَوْعَـةِ وَ سُهَـادِ

فهو يصور تلك الآلام من بعده عن الأوطـان وعن الأهل والأولاد ، وغالبا ما يكون شعـراء المعلّقات أكثر النـاس تعبيرا عن الغربـة بوقوفهم على الأطلال ، ذلك إن الطلل هو ما يذكرهم برحيل الحبيب و بعده عنهم ، يقول النابغة: [2]

يَا دَارَ مِيَّةَ بِالعَلْيَاءِ فَالسَّنَدِ أَقْوتُ وَ طَالَ عَلَيْهَا سَالِفَ الأَبَدِ
وَقَفْتَ فِيهَا أَصيلاً أَسْأَلُهَا عِيتُ جَوَابًا وَ مَا بِالرُّبْحِ مِنْ أَحَدِ

فهو يذكر الماضي، الأهل والمحبوبة، و يتذكر مواقفـه معها في ظـلال حيـاة جميلة عاشاها

---

[1] : إليا الحاوي: في النقد والأدب ،دار الكتاب اللبناني، بيروت 1986، ط5 ، ص:355- 356 .

[2] : امرئ القيس، ديوان امرئ القيس، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت،1986، ص:87 .

[1] : عنترة بن شداد ،ديوان عنترة ،دار بيروت للطباعة والنشر،بيروت ،ص:134 .

[2] : النابغة الذبياني، ديوان النابغة ذبياني، تحقيق محمد الطاهر بن عاشر، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر،د ط ،1976، ص:76.

في الصّبا ، وعبر ذلك الزمـن الذي غدر بهم وجعلهم يفترقان، و لم يبق أمامه إلا هذا التوجع والألم والبكاء، فيناديها وما بالربح من أحد.

2. **في شعر صدر الإسلام:**

لقد ارتبـط الشعـور بالاغتراب في هذا العصر بالفتوحات الإسلامية التي تعد بدايـة للاغتراب الحقيقي ، على أرض الجزيرة العربية ، وقد أتاحت هذه الفتوحـات للعـديد من أبناء الجزيرة أن يتوجّهوا شرقا وشمالا للعراق و فارس أو الشّام ثم إلى شمال إفريقيا لنشـر الديـن الإسلامي في كل الأقطار،طاعـة لله عز وجل و ابتغاء رضوانه[1] ، ممـا دفع هؤلاء الفاتحون والمجاهدون مفارقة أوطانهم وأهليهم ، فأحسوا بمرارة الغربـة وعبّر الشعراء منهم عن الشعور بهـذا الإحساس الرهيب و الحنين إلى أوطانهم ، وكان الإحسـاس بالاغتراب يزداد مرارة حين يواجههم الموت، مثل هذه الأبيات التي قالها الشاعر"هـلال بن الاسعر" وهو في أرض اليمـن على ظهر ناقته يشعر بالشوق والحنين إلى الوطن و يخبرنا أنّ ناقته تبادله نفس الشعور، يقول:

أَقُـولُ وَقَدْ جَاوَزَت نِعَمِي وَنَـاقَتِي تَحِنُّ إِلَى جُنْـبِي فَلَجُ مَـعَ الفَجْرِ
سَقَـى الله يَا نَـاقَ البِلاَدِ التِي بِهَا هَوَاكِ وَ إِنْ عَنَا نَأَتْ سُبُل القَـطَرِ
فَمَـا عَنْ قِلَى مِنَا خَفَّتْ النَوَى بِنَا عَنِ مَرَاعِيهَا وَ كُثْبَانِهَا العِفَرِ
وَلَكِـنْ صَرَفُ الدَّهْرِ فَرَّقَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الأَدَانِي وَالفَتَى غَرَضُ الدَّهْرِ
فَسُقْيَا الصَحْرَاءِ الإِهَالَةِ مُرَبَـعًا وَلِلْوَقَبّي مِنْ مَنْزِلِ دَمَثُ مَثْـرِي
وَسُقْيَا رَوِيًّا حَـيْثُ حَلَتْ لِمَازِنِ وَأَيَامُهَـا الغُرَّ المُحَجَلَـةِ الزَهْرِ[2].

أما الصمّة القشيري في بعده و إغترابـه عن الأهـل والوطـن الحمى يحس بشـوق جارف يمزق كـبده و يتحسّر على الأيـام التي ذهبت معها كل شيء جميل فلا يجـد متنفسا سـوى البكاء لعله يخفف عنه فيقول :

وَأَذْكُرْ أَيَامِ الحِمَـى ثُـمَ أَنْثَنِي عَلَى كَبِدِي مِنْ خَشْيَةِ أَنْ تَصَدَّعَا
فَلَيْسَتْ عَشِيَّاتِ الحِمَى بِرَوَائِحِ عَلَيْكِ وَلَكِنْ خَـلَّ عَيْنَـيْكِ تَعَمُقًا [3].

الفصل الأول الاغتراب في الشعر العربي

[1] : ينظر: أمين صالح محمود العمصي ، الغربة والحنين في الشعر الفلسطيني، ص:104.
[2] : المرجع نفسه، ص:105 .
[3] : أدونيس ،علي أحمد سعيد، ديوان الشعر العربي ، دار الفكر للنشر، بيروت،1986، ط 2 ، ص:387 .

وهكذا كان للفاتحين والمهاجرين أحاسيس مرهفة وجارفة إلى أوطانهم فكانت قلوبهم تتمزّق إغترابا، فكان كل شيء أمامهم يذكرهم بأوطانهم، وقد أنطقهم ذلك الحنين والشعور بالغربة شعرا عذبا يتدفق حزنا لوعة على فراق الأوطان.

ومن الطبيعي أن نجد هؤلاء الشّعراء الذين رحلوا مع جيوش الفتح قد تضاعف أحاسيسهم بالغربة حين يتراءى لهم الموت، فيشتد أساهم، وتفيض أحاسيسهم شوقا ولوعة، وهذا ما نجده في الأبيات التي قالها الربيب وهو بخراسان يقول:

أَلاَ لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبِيتَنَّ لَيْلَةً بِجُنْبِ الغَضَا أَزْجَى القَلاَصَ النَوَاجِيَا
فَلَيْتَ الغَضَا لَمْ يَقْطَعِ الرُكَبِ عَرْضَهُ وَلَيْتَ الغَضَا مَاشِي الرُكَابِ لَيَالِيَا
فَيَا صَاحِبِي رَحْلِي دَنَا المَوْتَ فَاحْفَرَا بِرَابِيَةٍ إِنَّي مُقِيمُ لَيَالِيَا
وَخَطَا بِأَطْرَافِ الأَسِنَةِ مَضْجِعِي وَرَدِّا عَلَى عَيْنِي فَضْلُ رَذَائِيَا
غُدَاةَ غَدٍ يَا لَهْفَ نَفْسِي عَلَى غَدٍ وَإِذْا أَدْلَجُوا عَنِي وَأَصْبَحْتُ تَأْوِيَا
تَذَكَرْتُ مَنْ يَبْكِي عَلَيَّ فَلَمْ أَجِدْ سِوَى السَيْفِ وَالرُمْحُ الرَدِ يِني بَالِيَا[1].

أما الشعراء الصعاليك الذين أدركهم الإسلام ، فان بعضهم آمن بالإسلام وانصّرف عن أعمال الصعلكة ، من قطع طرق و مغامرات إستلائية إيمانا منهم أن عهد هذه الأعمال قد مضى ،وكان الإسلام سببا في هذا التغيير من جهة ،وسببا في القضاء على الشعور بالاغتراب عند هذه الفئة من جهة أخرى.

3. في الشعر الأموي:

قامت الدولة الأموية بعد عدة حروب وخلافات وحتى صراعات عديدة مع الإمام علي ،ففتكت الخلافة بالقوة وحولها إلى خلافة بالوراثة ، فابتعدوا بهذا عن أصول الدين الإسلامي وعن تعاليمه، وتعرض أهل البيت إلى الاضطهاد والتشرد، فأدخل هذا الخوف في قلوب المسلمين واهتز في داخلهم الشعور بالأمان والطمأنينة، وهنا عادت بوادر الإغتراب في الظهور من جديد في المجتمع إذ يقول فتح الله خليف في مجلة عالم الفكر : " لم يكد يمض قرن من الزمان على الإسلام حتى وصف المسلمون بالغربة"[1]

فظهرت عدة أحزاب معارضة للدولة الأموية ، وظهر لها مناصرون وشعراء يدافعون عنها، فنرى لكل حزب شاعر يدافع عنه، فالكَميت مثلا كان يدافع عن أهل البيت في قصائده المعروفة بالها تسميات حيث يقول من بحر طويل:

طَرِبتُ وَمَا شَوقًا إِلىَ البِيضِ أَطرَبُ وَلاَ لَعِبًا مِنِي وَذُو الشِيبِ يَلعَبُ

---

[1] : عنترة بن شداد، ديوان عنترة ، ص:134.

[1] : عمر بوقرورة : الإغتراب في الشعر الإسلامي المغاربي المعاصر، ص:8 .

وَلَكَن إلىَ أَهلِ الفَضَـائِلِ وَالنُهَـى وَخَيَّرنِي حَـوَاءَ وَالخَيرُ يَطلُبُ
بَنِي هَاشِـمٍ رَهـطِ الـنَبِّي فَإنَنِي بِهِم وَلَهُم أَرضُ مِرَارًا وَأَغضَبُ[2]

فقد ترك الشاعر الغـزل وتفرغ لحب بني هاشم فقط ، فهو في دفاعه ومدحه لأهل البيت ثائـر على بنـي أميـة خاصـة وإليهم خالد القسري، حيث دعا الكميت أهـل مـر من خلال أشعـاره أن يثوروا عليه.

فالشاعر في هاشمياته صادق العاطفـة في حبـه لأهـل البيـت والدفـاع عنهم و عن حقهـم في الخلافة حيث يقول من بحر الطويل:

بِخَاتِمكُم غَصبًا تَـجُوزُ أُمُورَهُم فَلَم أَرَ غَصبًا مِثلَهُ يَتَغَضَبُ
وَجَدنَا لَكُم فِي آلِ حَـامِيهِم آيَةً تَأوِي لَهَا مِنَا تَقَتَّي وَمُعرَبُ
قَالُـوا: وَرَثنَاهَا أَبَانَا وَأُمِـنَا وَمَا وَرَثتُهُم ذَلِكَ أُمُ وَلاَ أَبُ[3]

فهنا يتضـح لنا حـق الهاشميين المهضوم وهم الذين ينحدرون من سلالـة فاطمة وعلي في الخلافة وأن الأمويين قد اغتصبوا حقهم بالقوة .

الفصل الأول الاغتراب في الشعر العربي

فالصراعات والخلافات المتعددة حول الخلافـة وهذا التمزق والابتعاد عن تعاليم الإسلام والشريعة ساعـد على تفشي ظاهرة الإغراب في المجتمع العربي من جديد بعدما عاشوا حوالي قرن بعيدين عنها.

ولعل أكثـر المغتربات شهـرة في هذا العصر زوجة المعاوية بن أبي سفيان ميسون بنت بحدل التي رغم إحاطتها بكل أنواع الرفاهية والغنى تقول في مقارنتها المشهورة [1]:

لِبَيْت تَخفِق الأرواحُ فِيـه أَحبّ إليَّ مِن قِصَر مُنيـفِ
وَأَصوَات الرِيـَاح بِكـل فَجٍ أَسَرّ إليَّ من نـقر الدُفُـوفِ
وَبِكر يتـبع الإظْعانَ صـَعب أَحَبّ إليَّ مِن بَـغل زُفُـوفِ
وَلُبْس عَبَـاءَة وتَـقْرَعِيني أَحَبّ إليَّ من لُـبْس الشُـفُوفِ

فبالرغم من تلك الرفاهية التي أحاطها بها معاوية لم تستطع تخفيف مشاعر الاغتراب التي تعاني منها الزوجة ميسون، فأخذت تستحضر تلك الصور التي تشتاق إليها في قلبيهما.

وكثيرا ما يتميز الإنسـان المغترب بحالات من القلـق والاكتئاب، فهو غالبـا ما يكون يـائس وساخط يقول بهذا الصدد جميل بثينة [2]:

فَوَا حَسرَتَا أَن حِيلَ بَينِي وبَينَهَا وَيا حِينَ نَفسي كَيـفَ فِيك تَحِينُ
فَشيبُ رَوعاتِ الفِراقِ مُفارقَتِي وَأَنشزْن نَفسي فَوق حيثُ تَكونُ
شَهدتُ بأَني لَـم تُغَـير مَوَدَتِي وَأَنِي بِكُم حَتى المَـمَاتِ ضَنِينُ

فالشاعر هنا حزين عاجـز عن تغيير الأوضاع وهذا الابتعاد عن الحبيبة هو الذي جعله يحـس بفراغ كبير بدونها ويقول لها انه دائم العهد بحبها ولا يزول ذلك إلا بمماته وحين يغترب الشاعر عمر بن أبى ربيعة عن موطنه في مكة يجتاحه حزن وألم يقول [3]:

هَيهاتَ مِـن أُمةِ الوَهَـابِ منزِلُنَا إذَا حَلَلنَا بِسيفِ البَحر مِـن عَدَنِ
واحتَلَّ أَهلُكَ أجيَادًا ،فَـلَيسَ لَنَا إلاَّ التذَكُر، أو حَظُ مِن الحَـزَنِ
لاَ دَارُكُم دَارُنَا يَا وَهْبَ إذْ نَزَحَـت نَوَاكَ عَنَـا وَلاَ أَوطَانكُم وَطَنِـي

فيتحمل تلك الأحـزان ويدعو الله أن يعيدها إليها وأن لا يبقـى فـي غربتـه عنها.

---

[2] : شوقي ضيف : تاريخ الأدب العربي، العصر الإسلامي، دار المعارف، القاهرة 1976، ط 7،ج4، ص:324 .
[3] : المرجع نفسه، ج2 ، ص:326 .

(1) : إبن الشجري ، فاطمة حميد السويدي ،الإغتراب في الشعر الأموي ،ص:45 .
(2) : جميل بثينة، جميل عبدالله ،ديوان جميل شاعر الحب العذري،تحقيق حسين نصار،مكتبة مصر،دار الطباعة2 ،1967 ،ص:202 .
(3) : عمر بن أبي ربيعة: ديوان عمر بن أبي ربيعة ، بشرح يوسف شكري فرحات،دار الجيل، بيروت، ص:635.

4. في الشعر العباسي:

شهد هذا العصر انتشارا شاسعا للاغتراب فقد عرف ذروته، فقد أصبح الناس يتخففون بالعقيدة الإسلامية وابتعد الحكام عن الإسلام وعن تعاليمه ولم يستعملوا أصول الدين في أحكامهم، وبهذا اشتد الطمع وزال العدل وضعف الإيمان نتيجة لكل هذا انتشر الاغتراب وتفشى في المجتمع العباسي ، وهذا من خلال كتاب الإشارات الإلهية لأبي حيان التوحيدي وكتاب غربة الإسلام لرجب الحنبلي وغيرهما من الكتاب والمتصوفين المغتربين.

ولو تتبعنا شعر المتنبي لوجدناه في إحدى أشعاره مغتربا شامخا، هاربا من واقع مجتمعه، فيقول في قصيدة من بحر طويل:

أَنَا فِي أُمَـةٍ تَدَارَكَـها الله غَرِيبُ كَصَالِحٍ فِي ثَمُـودِ(1)

والمعري كان هو الآخر مغتربا وفارا من مجتمعه الذي لا يقدره، ولا يقدر فضلاء القوم وأخيارهم ولا حتى علمائهم فقد قال من بحر طويل:

أَولُوا الفَضلَ فِي أَوطَانِهِم غُربَاء تَشُدُّ وَتَنَأَى عَنهُم القُربَـاء (2)

وأكثر شيء جلي هو ألم أبو العلاء المعري اضطهاد، وظلم الساسة العباسيين للرعية، وهذا ما جعله يغترب إذ يقول في قصيدة من بحر طويل:

مَل المَقَام فَكَم أُعَـاشِرُ أمَة أُمِـرَت بِغير صَلاَحِها أمرَاؤُهَا
ظَلَمُوا الرَعِية واستَجارُوا كَيدَها وَعَدُوا مَصَالِحَها وَهُم أَجرَاؤُها (3)

ويذكر الأمين العمى أبياتا للشاعر قد أغفل التاريخ اسمه يقول فيها:(4)

لَو مَاتَتِ النَفسُ من جُوع و مِن كَمَد لَمَّا شَكَوتُ الذِي أَلقَى إلى أحَـدِ
يَا لَيتنِى كُنتُ أَدرِي مَا الذِي صَنَعتُ بَعـدِي الحَوَادِث بالآهِلِين وَالوَلَدِ
وَبالحَبِيبِ الـذِي ودَّعتُه فَبَكَـى وَقَال مَا دَارِ هُنَاكَ مِنكَ فِي خُلُدِي
لَو كُنتُ أَعلَـم أنَّ البيـنَ مُقتَـرِبُ مَا كُنتُ أَصغِي إلى عَذلٍ أو فَنَدِ

فهذا الشاعر يعانى الألم والغربة، فيحن إلى وطنه وأهله ومحبيه ويقول انه لو كان يعلم إن موعد اغترابه عنهم مقترب لما أصغى لتلك الأعذار التي ساهمت في البعد.

وابن الرومي ذلك يعاني ألام الغربة ويصورها بحنينه الكبير إلى الوطن يقول(1):

بَلَدُ صَحِبَت بِه الشّبِيبَة وَالصّبَا وَلَبستُ ثَوب العَيشِ وَهُو جَدِيدُ
فَإِذَا تَمثَل فِي الضَّمِيرِ رَأَيتَـهُ وَعَلَيهِ أغصَان الشَّبَابِ تَمِيـدُ

فهو يرتبط به ارتباطا قويا لا فكاك منه، فيحزن ويتألم للفراق والبعد.

(1) : عمر بوقرورة : الاغتراب في الشعر المغاربي المعاصر، ص:9.
(2) : المرجع نفسه. الصفحة نفسها.
(3) : المرجع نفسه. الصفحة نفسها.
(4) : أمين صالح محمود العمصي، الغربة والحنين في شعر فلسطين، ص:122 .

[1] : خليل شرف الدين، ابن الرومي، الموسوعة الأدبية الميسرة، منشورات دار مكتبة الهلال، بيروت،د ط،1996 ،ص:40.

ب- حديثـا:

1. في الشعر الحديث:

ظاهرة الاغتراب زادت حـدة في العصر الحديث نتيجـة للحروب والدمـار، فقد تفككت الروابط الروحية الإنسانية، وتحلل إنسان العصر الحديث من قيمه الدينية والتاريخية، وفقد الصلة التي تربطه بماضيه وعجز عن الموازنة بين التكنولوجيا المتطورة التي تتحكم فيه وبين الأديان السماوية التي أصبح لا يولي لها اعتبارا ونظرا لكل هذه الظروف انتشر الاغتراب وازداد حدة.

وخير من تمثل لهم هذه الظاهرة في العصر الحديث نذكر كل من : جماعة الديوان، أبولو والمهجـر لأنهم أحسـوا بالغربة الشديدة و الاضطهاد المدقـع نتيجـة للظروف التي عايشوها آنذاك وللمصائب المتلاحقة التي أتت جراء الاستعمار، فنـجد عبد الرحمان شكري يتمنى الموت لأنه يجد فيها الملاذ والخلاص الوحيد من شقاء المجتمع وقسـوته وكذا بؤس الحياة ، وضغطها عليه، ولعله يجد في هذا الهروب الراحـة من قساوة المجـتمع الذي يعج بالذئـاب، حيث يقول مخاطبا البحر في قصيدة من بحر طويل:

" وَقَـفتُ عَلى البَحر الخِضَم عَشِيَة وللـــرِيحِ والعِـيَاب بَوادِرُ
بَكَيـتُ بُكَاءَ اليَأسِ لاَ يَأسَ مِثلَـهُ وَقُلتُ: وَيي مِن سَانِحِ المَوتِ خَاطِرُ
أَجَرَنِي مِـن ظُلمِ الحَياة وَلُؤمَهَا فَإن شَقَائِي مِثـل لَجَكٍ زَاخِـرُ
أَرَى كَفَنًا مِن نَسِيجِ مَوجِكِ أَبيَضًا تُمَزِقُهُ الأروَاحُ وَهِي تَـــوَائِرُ

وَمَا العَيشُ إلاَ للذئْبِ تَدْمِي نُيُوبَه وَللعَيشِ نَابَ قَاتِلُ وَأَظَـــافِر"[1]

فالشاعر ذو نظرة حزينة وتشاؤمية للحيـاة يرى من خلالها مظاهر الطبيعة خاصة ما كان منها عنيفا ومخيفا وسائل تساعده على وصف ما يدور بداخله من ثـورة وغضب ، وهولا يجد سـوى هذه المظاهر يلجأ إليهـا للتخفيف من ثورته وغضبـه، عله يدخـل إلى نفسـه قليـلا من الطمأنينة والراحة والأمل، حيث يقول أيضا في قصيدة له بعنوان الريح من بحر البسيط:

" يَا رِيحُ هيجَت قَلبًا شَجوهُ وأَرَى كَما تَهيجِين عُودُ الغَابِ بِالنارِ
يَا لَيتَ نَفسِي رِيحُ لَفَحُ لأَفَحُها يَطْهُر الكَونِ مِن شرِ وأشرَارِ
وَتَـنثُرُ الخَير نَثُرُ الـبَذرِ يَحمِلُه نَسَمُ الرِيَاحِ عَلَى زَهرِ وَأَثمَار"[2]

فالشاعر هنا يضفي على الريـح فيخاطبها وكأنها إنسـان ويشكـو إليها همومه ، ويفضـي إليها بأسراره، وسعادته، وحزنه، وآماله، وأحلامه لأنه يجد فيها المنفـذ الوحيد للتخفيف من ضغـط المجتمع وقسوته وظلمه فيدخل بذلك بعض الأمل والسعادة إلى نفسه الحزينـة.

أما الشاعر صلاح عبد الصبور فإنه يختار الانسحاب من المجتمع كي يتحـرر من القيـود التي تشعـره بالعبودية، فهو يحـس بتفاهتـه، وإحباطاتـه ، وانهزامـه حيث يقول في قصيدة **"**مذكرات الصوفي بشر الحافي**"** من بحر المتقارب:

حِينَ فَقَدنا الرِضَـا
بِمَا يُـرِيدُ القَضَـا
لَم تَـنـزَل الأمطَـار
لَم تُـورِقِ الأشـجَار
لَم تَلمَــعَ الأثمَـار
حِينَ فَقَدنَا الرِضَــا
حِينَ فَقَدنَا الضَحِـكَا
حِينَ فَقَدنَا هَدَأتِ الجُنُبِ
تَفَجَرتِ عُيُونَنَا بكَــا[1]

فمن خلال مذكرات بشر الحافي، يدين الشاعر المجتمع إدانته كاملة، ويثور عليه لأنه يـراه متعفنا فاسدا، فيحاول تجاوزه بالهروب إلى الأفق النوراني الأعلى.

---

(1) : واصف أبو الشباب: القديم والجديد في الشعر العربي الحديث، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت 1988،ص:115.

(2) : المرجع نفسه، ص:116.

(1) : محمد مصطفى هدارة: دراسات في الأدب العربي الحديث، دار العلوم العربية، بيروت1990،ط7، ص:227.

ونجد الشعراء أكثر تغن بالطبيعة والغاب و رموزه وذلك تعبير عن تلك الأحاسيس بالاغتراب.
وقد كان الحنين والشوق إلى الوطن من ابرز معالم الاغتراب في الشعر الحديث يقول علي محمود طه[1]:

شَقِيٌّ أَجِنَّته الدَّياجِي السَّوَادِف سَلِيبَ رُقَادٍ أَرَّقَتْه المَخَاوِفُ
تَرَامَى بِهِ لَيلٌ كَأَن سَوَادَه بِهِ الأَرضُ غَرقَى والنَّجُومُ كَواسِفُ
إِلَى أَين تَمضِي أَيُّها التَائِه الخُطى يُسارِيكَ بَرَقٌ أَو يُبارِيكَ عَاصِفُ؟
رَأَيتُكَ فِي بَحرِ الظَّلاَمِ كَأَنَّمَا إِلَى الشَاطِئِ المَجهُولِ يَدعُوكَ هَاتِفُ

فهو يصور حالة الطريد البعيد عن وطنه الذي يعاني ألام الغربة ، فأرقها الخوف الذي سلبه الأمن والرقاد، وأخذ الليل يقذفه من مكان إلى مكان، فلا يستبين أمامه طريق فيسير إلى مجهول.
وكذلك تتجسد آلام الغربة الموحشة وما يواكبها من حنين وشوق في قصيدة إبراهيم ناجي " العودة " الغارقة في الرومانسية يقول فيها[2]:

هَذه الكَعبَة كُنَّا طَائِفيهَا وَالمُصَلِين صَباحَا و مساءًا
كَم سَجَدنَا وَعَبدنَا لِحُسن فِيها طِيف بالله رَجَعنَا غُرَبَاءَ
دَارُ أَحلاَمِي وَ حُبِي لَقيتَنِي في جُمُود مِثلمَا تَلقَى الجَدِيد
أنكَرتنَا وَ هِيَ كانَت إن رَأَتنَا يَضحَك النّور إلينا مِن بَعِيدْ
رَفرفَ القَلبُ بِجَنبِي كالذَّبِيح وَأَنَا أَهتِفُ يا قَلب إتَئِدْ
فَيُجِيبُ الدَّمعُ والمَاضِي الجَرِيح لِمَ عُدنَا؟ لَيتَ أنَا لم نَعُدْ!

فهو يصور آلامه وبكاءهم لفراق الكعبة التي طالما كان يطوف حولها، والتي تغيرت عنه وأصبح يحس انه غريب فيلوم نفسه على العدم العودة إليها.

الفصل الأول الاغتراب في الشعر العربي

وإيليا أبو ماضي أيضا يعاني مرارة الغربة أو الاغتراب فيصف تلك الأحاسيس متجسدة في قصيدته المشهورة " الطلاسم" يقول[1]:

جِئتُ، لاَ أَعلَمُ مِن أَينَ ، وَلَكِني أَتيتُ
وَلَقَد أَبصَرتُ قُدامَى طَرِيقًا فَمَشَيتُ
وَسَأَبقَى مَاشِيًا إن شِئتَ هَذَا أَمْ أَبِيتُ
كَيفَ جِئتُ؟ كَيفَ أَبصَرتُ طَرِيقِي ؟
لَسْتُ أَدْرِي
أَجَدِيد أَم قَدِيمُ أَنَا فِي هَذَا الوُجُودِ
هَل أَنَا فَائِدة نَفسِي فِي حَيَاتِي أَمْ مَقُودِ

---

(1) : علي محمود طه، ديوان علي محمود طه، شرح تحقيق محمد نبيل طريفي،دار الفكر العربي،بيروت،ط1،2001 ،ص:92

(2) : أمين صالح محمود العمصي،الغربة والحنين في شعر فلسطين،ص:132 .نقلا عن محمد عبد المنعم خفاجي دراسات في الأدب المعاصر،من ص:89 إلى ص:90 .

أَتَمنَـى أَنَّنِـي أَدرِي وَ لَكِــنْ ...
لَسْتُ أَدْرِي

فالمتمعن في تلك القصيدة يدرك مدى شعوره بالاغتراب والضياع والتشرد ، فهو لا يدري عن ذاتـه شيء يمشى ولا يدرى إلى أين ،أهو حر أم مقيد، ويتمنى لو أنه يدرى، ولكن في كل مقطع من القصيدة يردد عباراته لست أدري فهو بذلك لا يدري.

ويصور شاعر آخر آلامه و أحزانه من الاغتراب العاطفي، كما هو عند محمود درويش الشاعر الفلسطيني الذي نحت الإغتراب عدة صور من ذلك الحب، في ظروف سياسية، صعبة فنظرا لحبه للوطن فلسطين والاقتتال من أجله نلمس عذابه وتشرده لعدم استطاعته الحب يقول[2]:

حَنِينِي إليكَ..... إغْتِرَابُ
وَلُقيَاكَ..... مَنْفَـى

فحبه هنا هو مصدر اغترابه ، فكلما كان شعوره بالحنين إليها و للقائها فاستحوذت قلبه مشاعر الوحدة والضياع، فتأزم وإغترب.

2- في الشعر المعاصر:

لقد اعتبرت المدينة في هذا العصر وعاء حضاري يستغله الشعراء للتعبير عن أحاسيسهم ،وأيضا تصوير اغترابهم، فالتمزق ،القلق، الصراع، الضياع ،الخوف، الاغتراب ، وهذه الألفاظ تستخدم كثيرا في أشعار هؤلاء نتيجة تهدم القيم والعلاقات التي تربط الأفراد بعضهم ببعض وتصيبهم إحباطات ليتمثل الهروب مركز الشفاء والعلاج في أحضان ذلك الغاب.

وكما يتمثل الاغتراب في شعر بعض الطبقات من الشعراء الذين يسكنون الريف ورحلوا إلى المدينة بحثا عن العلم والعمل ،ومن هؤلاء نجد عبد المعطي الحجازي وكذلك عبد الوهاب البيّاتي، الذين اغتربا إلى العاصمة بغداد .

فليس هناك من شك في إن هذا الشاعر المغترب سيشعر بغربة أليمة خاصة أول الأمر إذ لا احد يهتم لأمره ، وهذا يعد بعد من أبعاد تجربة الشاعر الحزينة[1].

وهذا المغترب في بلاد الغربة الجديدة تعترضه صعوبة التأقلم مع الوضع الجديد وتسيطر عليه ألام البعد والحنين إلى الوطن والأهل.

يقول عبد المعطي حجازي في قصيدة " لا أحد " [2]:

رَأَيتُ نَفسِي أَعْبر الشَارع عَارِي الجَسَد
أَغُضُ طَرفِي خَاجلاً مِن عَورَتِي...
ثُم أَمُدُه لأَستَجدِي التِفَاتًا جَابر
نَظرَة إشفَاقٍ عَلى من أَحدٍ
فَلاَ أَجِدْ
إذَن
لَو أَنَنّ ِي لاَ قَدَّر الله سُجِنتُ ثم عُدتُ جَائِعًا
يَمنَعُنِي السُؤَالُ الكِبريَاءِ

---

[1] : إيليا أبو ماضي، ديوان إيليا أبو ماضي ، تنقيح جورج شكور،دار الفكر اللبناني،بيروت،ط2004،1 من ص:76إلى ص:94.

[2] : محمود درويش، ديوان محمود درويش، دار العودة،بيروت،1994،ص:166.

فَلَن يرد بعض جُوعِي وَاحِد مِن هَؤُلاَءِ
هَذا الزُحَامُ
لاَ أَحدْ

---

(1) : إحسان عباس: اتجاهات الشعر العربي المعاصر،قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية،دار العودة،بيروت،ط3 ،1981،ص:331.

(2) : أحمد عبد المعطي حجازي، ديوان عبد المعطي حجازي،دار العودة، بيروت، من ص:381 إلى ص:382.

هذا يجسد آلام الشاعر النفسية فهو إن جن أو جاع أو تصرف تصرفات مخلة بنظام المجتمع الذي يعيشه، لا يأبه أحد به وبتصرفاته، ورغم ذلك الزحام يشعر بالوحدة.

ويظهر أن الشعور بالوحدة والإنفراد من أهم المظاهر الإغتراب النفسي يقول عبد المعطى حجازي في قصيدة " أنا والمدينة "[1]:

مَنْ أَنتَ يَا.... مَــنْ أَنْتْ؟
الحَارِسُ الغَبّي لاَ يَعِي حِكَايتِي
لَقَد طُرِدتُ اليَومَ مِن غُرفَتِي
وَصِرتُ ضَائِعًا بِدُونِ إسمِ

فهو لا يدري من يكون، لا يعرف أسمه، فقد مكانه في الوجود، وصار ضائعا ومطاردا.

---

(1) : أحمد عبد المعطي حجازي، ديوان عبد المعطي حجازي، ص:189.

كمـا نجـد في الحنين إلى الوطـن والشـوق إليه تنفيـس لتـلك الآلام من الاغتـراب ،يقول بدر شاكر السياب في قصيدة "غريب على الخليج"، حيث وصف معاناة الشاعر وهو بعيد عن وطنه وأمله بالعودة إلى العراق[1]:

الرِيـحُ تلهثُ بالهَجِيرَةِ، كالجُثَـامِ، عَلى الأَصيلِ
وَعَلَى القُنـوعِ تَظَل تُطْوى أو تُنشَـرُ لِلرحيـلِ
زَحَم الخَليـج بِهِنَ مُكْتَدِحُون جَـوا بُو البِحَـار
مِن كُلِ حَافٍ نِصفَ عَارِي
وَعلى الرِمال عَلى الخَليج
جَلَس الغَرِيب، يَسْرِع البَصَر المَصِير في الخَلِيج
صَوت تَفجرَ فِي قَرَارةِ نَفسِي الثَكلَى : عِـرَاق
كَالمـدَّ يصعَدُ، كالسَحَابَة، كَالدمُوعِ أي العُيـون
الرِيحُ تصرُخ بِي: عِراق
والموجُ يقول لِي:عِرَاق،عِرَاق،ليسَ سِوى عِرَاق
عِرَاق

بدأ الشاعر قصيدته وهو متعبا، ويظهر هذا التعب حولـه، فالريح تلهث من الحر والتعب وكأنها كابوس على صدره، وهذه الريـح لا تستطيع أن تحرك أشرعة السفن فتعيده إلى بـلاده ،وترسو السفن على الشاطئ مستعدة لحمـل البحـارة الذي يكدحون دائما لكسـب العيش منهم الحافي ومنهم النصف العاري.

ثم يجلس الشاعر حائرا ويرسل بصره إلى الخليج يدمر آماله بالعودة إلى العـراق فنشيجـه قد بدا يصعد من صدره أعلى مـوج البحـر، ومن هدير رغوه ومن الضجيج ، خـرج من صدر الشاعر كارتفاع موج البحر وكالسحابة المرتفعة وكالدموع التي تذرفها العيـون.

ويعـود الشاعر إلى الريـح وهى تصرخ عـراق، ويجعل الموت الذي يحمله إلى وطنه يصبح باكيا عراق ، ويصف بعده عن وطنه، باكيا عراق ويصف بعده عن وطنه بمقدار اتساع البحـر ليرسم مدى بعده عن وطنـه.

---

[1] : ديوان بدر شاكر السياب ،دار العودة، بيروت،د ط،1971،من ص:477 إلى ص:478.

تناولنـا في الفصل الأول بالحديث عن:

مفاهيم تتعلـق بمصطلح **الاغتـراب في الشعـر العربـي** ، متناولين في ذلك تعريفه اللغـوي والاصطلاحي ، ثم تطرقنـا إلـى الأسبـاب المؤديـة للاغتـراب، من خـلال الظـروف: (الاقتصادية التي ترتبط بالتقدم الصناعي والحداثـة التكنولوجية بصفة عامـة ، والاجتماعية والنفسي وغيرها من الأسباب..).

وبعدهـا تطرقنـا إلى **تطـور الاغتـراب في الشعـر العربـي** عبـر العصـور

، قديمـا:(بدءًا من **الشعر الجاهلي** حيث كان الإنسان في هذا العصر يقاتل ويصارع من أجل العيش والبقاء ، في مجتمع تحكمه القوة والجبروت والعنف والتوتر ، وفي **شعر صدر الإسلام** ارتبط الشعور بالاغتراب بالفتوحات الإسلامية التي تعد بداية الاغتراب الحقيقي، لنشر الدين الإسلامي في كل الأقطار مما دفع هؤلاء الفاتحون مفارقة أوطانهم وأهليهم ، وفي **الشعر الأموي** نجد ظهور شعراء مناصرون للدولة الأموية واجهت عدة أحزاب معارضة التي أدت لنشوب حروب وخلافات، فتكت الخلافة بالقوة وتحويلها إلى خلافة بالوراثة ، وفي **شعر العباسي** تحدثنا عن انتشار الشاسع للاغتراب وبلوغ ذروته ، نتيجة تخفت الإنسان بالعقيدة الإسلامية وابتعاد الحكام عن نهج الإسلام وتطبيق تعاليمه).

أما حديثـا:(وبدءا **بالشعر الحديث** زادت حدة الاغتراب نتيجة للحروب والدمار، وفقد الصلة بماضيه من قيمه الدينية والتاريخية ، وأخيرا في **الشعر المعاصر** فقد تحدث الشعراء عن أحاسيسهم اتجاه المدينة ، التي كانت مقصد لهم باعتبارها وعاء حضاري وذلك بحثا عن العلم والعمل، وهروبا من الريف).

كما تناولنا أهم الشعراء الذين تطرقوا للاغتراب، من بينهم:(عنتر بن شداد، الشنفري، امريء القيس، الكميت، جميل بثينة، ابن الرومي، بدر شاكر السياب، علي محمود طه ،عبد المعطي الحجازي...).

الفصل الثاني:

الاغتراب في شعر مصطفى محمد الغماري: النموذج التطبيقي - ديوان أسرار الغربة -

1 – الشاعر:

أ - حياتــه.

ب - نتاجه الشعري.

2 - مظاهر الإغتراب في شعر الغما ري:

أ - الثورة على الواقع.

ب - الهروب من الواقع.

ج - التشاؤم والحزن.

3 – أثر الإغتراب في لغة الغماري الشعرية:

أ - المفردات والعبارات.
ب - الأسلوب.
ج - الرمـز.
د - الصورة الشعرية.

1 – **الشاعر**:

أ - **حياتــه**:

هو مصطفى بن علي بن أحمد بن محمد الصالح بن محمد الغمـاري الحسن الجزائري من مواليد 16 نوفمبر1948 ببلدية برج اخريص بسورالغزلان، تلقى تعليمه الأول على يد أبيـه محمد الغماري الذي زاول مهنة تعليم القران الكريم منذ تخرجه من زاوية بوجليل على يد السيد محمد أبى القاسم أبو جليلي الحسيني، ثم إنتقـل إلى زاوية بالعموري الذي يشـرف عليها السيد محمد نذيري، بعدها انتقل إلى المعهد الإسلامي بحسين داي سنة1965 ، مكث فيه سنتين حصل بعدها على منحـة من وزارة الأوقـاف المملكة الليبية سابقا بالجامعة الإسلامية بمدينة البيضاء التي كانت معقلا من معاقل الطريقة السنوسية وهي طريقة تربوية علمية جهادية رسالية حملـت لواء الجهـاد في مواجهة الطغيان الايطالي، حصل بعد سنتين على الثانوية العامـة من معهـد البحوث .

ثم أكمل دراسته بجامعة الجزائر، فتخرج فيها سنة 1972 حيث حصل على ليسانس الأدب من دائرة اللغة والأدب العربي، ليعود إليها بعد سنتين من الخدمة الوطنية معيدا فأستاذا مساعدا بعد حصوله على الماجستير سنة 1984"[1].

يعتبر الغمـاري من شعـراء التحدي والعقيدة الإسلامية والمذهب الذي إختاره الإسلامية لا يخرج عنها ولا يكـاد يغـار عليها وهو من أجـل ذلك يعمل معاملة في هـدم كل ما سواه ومن هذا المنطلق نستطيع أن نلقبه بشاعر الإسلام المعاصر.

ب – **نتاجه الشعري:**

يعد مصطفى محمد الغماري من أبـرز الشعراء المعاصرين الذي أنجبتهم أرض الجزائر ،تجسد شعـره في مجموعته الشعرية التي أدرجت ضمن مجموعة هائلـة من الدواوين الشعرية والتي ظهرت على التوالي وفى أوقـات متقاربة جدا ذات كمية وكيفية لا بأس بها هذا مقارنـة مع الظرف الزمني الوجيز الذي استغرقه الغماري في هذا الإنتاج، ولقد إرتأينا أن نعـرض هذه الدواوين عرضا تصاعديا حسب تواريخ صدورها في جعبة المجموعة الأولى، نجد في البدايـة: " أسرار الغربة " الذي طبع عام 1878م ، إضافة إلى أغنيات الورد والنار والتي صدرت عـام 1980،ثم قصائد مجاهدة وهي عبارة عن مخطوطة أصدرت عام1983"[2].

---

[1] : جريدة الشروق الثقافي متابعات العدد 20 الأسبوع من: 9 -16 ديسمبر1993، ص:05 .

أما في المجموعة الثانية فإننا نجد:
" خضراء تشرق من طهران" هذا الديوان طبع حاله حال الدواوين الأخرى " قراءة في زمن الجهاد" " لم يقتلوك " " أسرار الغربة " يعد أول مجموعة شعرية أو بالأحرى أول ديوان من نوع الحجم الصغير ثم إصداره من طرف الشاعر، هذا الديوان الذي ضم بين صفحاته مئة و سبعين صفحة وعلى اثنين وثلاثين قصيدة تحتوي كل واحدة منها على أربعين بيتا.
المحور الوحيد في هذا الديوان تدور في محور الدين الإسلامي المتمثل في رسالته الإنسانية وشريعته الخالدة و مآسي حاضرة وتطلعات مستقبلية.
فالغماري كان متشبعا بإحساس فياض وعارم ونشوة صوفية عميقة و إذا ما تصفحنا محتواه الذي نجد في الصفحات الأولى منه قصيدة "ثورة الإيمان" التي تدل دلالة واضحة وعميقة على تصوره الخاص لوظيفة الشعر والمجال الذي يراه جديرا بأن يجاهد فيه:

" أُحارِب فِي دِيني و فِكْرِي و مذْهبي
وأَرمِي بِزُور القَول فِي كلّ مَشْعب
ومَا أَنَا إلاَّ غُصة فِي حُلُوقِهِم
وَمَشْرجَة الأقْدار فِي صَدر مُذْنَب"[1].

الغماري يبدو صاحب رسالة تلك المتجسدة في خدمة الإسلام كونه يمثل أسمى درجات الإنسانية المتعمقة في المياه اليومية بكل أبعادها الاجتماعية والسياسية والفكرية تلك الرسالة المستمدة والمستنبطة من الشريعة الإسلامية التي طالما ذاب فيها عشقا متولها بها تولها صوفيا وهذا ما جاء فيها في قصيدة " أغنية اللهب الرحيم":

" أَنَا فِيك يا بِنت السَماء مُسافر وتْرِي و فِكْرِي
مُتَوثب في الدَرب إعْصارا عَلى أَشلاء دَهري
في ضِلّك القُدُسي لَمْلَمَت الرُؤَى وَ هَتَكت ستري
وَعلى حَنَاياك إخضِرار شَبَّ فِيه لَهيبُ عُمري"[2].

الفصل الثاني الاغتراب في الشعر الغماري

كما أن نفس الغماري متشبعة بالحب،هي التي تظهره في كثير من الأحيان متصوفا يذوب عشقا في ذاته السلامية فأصبحت تمثل كل شيء في كيانه وتفكيره ، لا تعرف حياته الإستقرار مسلكا إلا بجذوره وإينانه العميق يتجسد أساسا في القرآن الكريم، مما جعل منه داعيا إسلاميا في بعض الأحيان متوجها بأساليب الدعوية إلى المفكرين ليستمدوا أفكارهم من القرآن الكريم ،وهذا ما جاء في قصيدته التي خاطب بها بابليونيرودا في قصيدة " لو قرأت كتابي" يقول:

إيه نِيرُودا لَو قَرأت كِتابِي
لَرأيت الخُلُود بِسُقيك نَهـــلا
لَو قَرأت القُرآن مَا كُنت إلا ثَائِرا

---

(2) : مصطفى محمد الغماري: أسرار الغربة، ط 2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص:11.
(1) : مصطفى محمد الغماري: أسرار الغربة، ص:07 .
(2) : المصدر نفسه، ص:149.

فِي الوُجُودِ يُنْشَد عَدْلا "[1].

ومن خلال مفهومه الإسلامي يعرف أن الغماري من خلال أشعاره صاحب رسالة عالمية ،فالإسلام عنده لا يتموضع في رقعة جغرافية معينة ولا في فئة شعبية محددة و إنما الإسلام عنده يتجاوز الحدود الاقليمية والقطرية والقارية فهو متحمس ومتفاعل مع القضايا الإسلامية حيث ما كانت، سواء في الفلبين أو الهند أو القدس أو الباكستان وغيره من البلدان .

أما فيما يخص قصائده صوفية الوجد والثورة، أغنية اللهب الرحيم وأيضا قصيدة لن تموت الحقيقة ثم أتون ،هذه الأعمال الشعرية سار فيها جنبا إلى جنب مع السلام الذي يحث على فرض الظلم والاضطهاد والقهر متعاطفا مع المسلمين في مواقفهم الثورية ضد المحتل الغاضب .

ثم أن روح الغماري الثائرة في وجه أولائك الذين تنملوا عن الإسلام وتفاضلوا عن تعاليمه ،ولم يدركوا منه غير القشور، ساعدته على العمل جاهدا من أجل القضاء على إنحراف السلوكية والخاصة الصادرة من طرف الحكام الذين يدعون الزعامة الروحية أو يتظاهروا بالإسلام لإستلاء محكوميتهم، وهذا يتجسد في قصيدة " أغنية اللهب الرحيم " الذي أخذنا منها هذا المقطع:

لاَ للذِينَ مِن الأغَانِي الحُمر صَاغُوا كُل عَهْر
لاَ للذِينَ تَسَكَعُوا رَهْقا وَ مَا حَلِمُوا بِنَصر
لاَ للذِينَ تَمَلمَلُوا شَبقا يَضَح بِكل قِصْر
في كل غَانِية يَفُوح الجِنْس لِلْمَلِك الأغَر"[2].

الفصل الثاني الاغتراب في الشعر الغماري

وبهذا يكون الغماري قد وقف وقفة تأمل وشموخ ومتأصلة على جيل العقيدة الأشم ليضرب في عمق الصراع النضالي، فمن بين التي جاءت في ديوانه " قراءة في أية السيف " نجد قصيدة " لن ينام الحق"[1].

لَن يَنام الحَق في جُرح بِلادي ...
لَن يَنــام
مِن وَراء الصَمت
أَتلُو صُورة المَوت الزُؤام
مَهرا إلاهيا
وَطارق
أَصنع الشَرق أن جَاءت عن الدَرب المَشَارق[2].

وهناك دواوين غير المطبوعة، وقد نظمها في فترة مابين 1988-1991 وهي:" فيض من فيض ،حب لن يموت، ياخيل الله إركبي ،حصار"

*** <u>الأثـار الأخـرى</u>:**

لم يقتصر نشاط الشاعر على الجانب الشعري فحسب بل تعداه إلى الجانب الفكري،حيث استطاع أن يحقق مجموعة من الكتب في علم التوحيد والتصوف وعلم اللغة وهي كمايلي:

- المطبوع .

---

(1) : مصطفى محمد الغماري: أسرار الغربة، ص: 46-47.

(2) : المصدر نفسه، ص:148.

(1) : مصطفى محمد الغماري: قراءة في أية السيف، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، مطبعة أحمد زبانة ، الجزائر، د ط ،1983، ص:23.

(2) : المصدر نفسه، ص:23.

(3) : محمد موسولي ، محمد الغماري ، شاعر الإسلام ، رسالة دكتورة غير منشورة ،ط1 ، تلمسان ،2002، ص 26 .

- تحقيق شرح أم البراهين في علم الكلام لأبي عبد الله السنوني التلمساني 1989.
- تحقيق المدخل إلى علم العقائد النفس المؤلف.
- تحقيق الرسائل الكبرى في التصوف الإسلامي، لأبي عبد الله محمد إبن عباد الشعري الرندي الأندلسي القاسي وهو أعظم مريدي المدرسة الشادلية في التصوف.
- تحقيق كتاب، المحاكاة بين أبي حيان وزمخشري وإبن عطية في إعراب القرآن، للإمام يحي الشاوي المليانى وهو كتاب يدل على فضل علمائنا القدامى وتفوقهم ولاسيما في مجال الدرس اللغوي..."[3].

2 - مظاهر الإغتراب في شعر الغماري:

أ- الثورة على الواقع :

عرف الشعر العربي المعاصر ظاهرة الرفض، وذلك منذ أن بدأت بعض الأفكار الغربية تتسلل إلى المجتمعات العربية، حيث انعكست على النص الشعري وأثرت فيه،فنتج عن ذلك شعر رافض ونابذ، وكذا ثائر على القيم المستوردة الدخيلة التي تفشت في المجتمع ، هذا ما أدى بالشعراء المسلمين إلى إحساسهم بالإغتراب في مجتمعهم، وبعد الاندماج مع أفراده، وقع واقع يرفض شرع الله ويفسح المجال لشيوع أنظمة وأفكار لا تمت للمجتمع بصلة، فجاء شعرهم رافضا للواقع بكل ما فيه، ساعيا إلى تحرير المجتمع من قيود الضياع والهزيمة، والوصول به إلى آفاق العقيدة الإسلامية فمصطفى محمد الغماري يدعوا من خلال أشعاره إلى الثورة على الواقع وتغيير مسار حياة المسلمين بالرجوع إلى الإسلام.

فالغماري يريد أن يتجاوز حتى حدود ذاته، فهو ثائر ساخط متمرد، رافض للواقع متطلع دائما إلى غد أفضل لنفسه ولإخوته المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، وهذه العاطفة الجياشة تشتد وهجا تجاه تلك الأقطار التي يكون فيها أقلية مضطهدة.

فهو متعاطف مع المسلمين في مواقفهم الثورية، رافض كل أنواع الظلم والقهر، الإضطهاد والتبعية ، كما يبدو ذلك جليا في عدد من قصائده، حيث يقول في قصيدة "إلى صوفية الوجه والثورة ":

" تَواثبُ الرفضِ ... طُوفانَا مِن الغضَبِ
يَاغربَة الـرُوح فِي أَبعادِ مُغتَـرب
هَيَّا إزْرَعِينِي مَدَى يَخْضلُ في رَهقِي
وثَورة فـي درُوب القَهر و الغَلب
دَمِي علـى الزَمـن المَجنون أُغنيـة
تَلُوكُها الريح فـي الأَبعادِ والحقَـب
قَد شَرَشْت فِي دِمَى الظَـلْماء فِي هَدبْي"[1]

---

[1] : مصطفى محمد الغماري: أسرار الغربة، ص :125.

وهنا ومن كل ما سبق نجد بأن التحدي والثورة صفتان بارزتان في شعر الغماري وخاصيتان أساسيتان في نفسه، فنجده يتحسر ويكفر بالظلام والقهر والظلم المنتشر في وطنه وفي الأمة الإسلامية بأمتها،حيث يقول في قصيدة " أسرار الغربة "من بحر المتدارك:

" لَـولاَ الظَلاَم الوَغْد يُـر هقُ خطوه ...لـولا القيـود
لاَ تَنْشَال في ظَمأ المَـدَى نَارًا تُخَاصرنا الوُعُــود
فَأَضُمـــها وَرْدا إليها وَعِشْقـا ... لاَ أَحِــيد
وَأَقُول يا نَـــار اهْطِلي أنا في رِضَـــاك إذا سَعِيد
مَا النَّار إلا مَن تَشْــر سُ في لَـــهَاتِك يا نَشِيـد
مَا النَّار إلا في حَنَـــايا الدَرب... يَلجُمـه الوَعِيـد"[1]

ونجده ثائرا رافضا للواقع الذي آلت إليه أمتنا الإسلامية حيث يقول في قصيدة " أسرار الغربة " من بحر المتدارك:

"وَيظـلُ يَركض في مَـداه الزِيف ... و الصَمتِ البلِـيد
سَبقَ اللَـيَالي الحُمْر عُقبا ه إنتِــحار ... أو جُمُـود
مَهما تُخاصِـــره المَرا يَـــا أو تُخاصره الهُنُود
سَبـق الرِياح السُـودْ يا صَرعَاه ... قَيْح أو صَـدِيد"[2]

فالعقيدة الإسلامية هي جهاد ونضال الشاعر، هي ثورته الحقيقية، إذ أنه لا يعتبرها موقفا شعريا وفكريا فحسب، ومن ذلك فإن الغماري دافع عن العقيدة الإسلامية لأنها عقيدة ذات فلسفة شاملة للحياة والكون، فهي لا تقف عند حدود الزمان والمكان الضيقين.

ومن هذا فقد كان الصراع المرير والثائر الذي نلمسه في كل الأعمال الشعرية التي يكتبها الغماري خاصة في ديوان أسرار الغربة .

ومن بين أحسن القصائد المعبرة ، قصيدة " أسرار الغربة " من بحر المتقارب حيث يقول:

يَا رَاكزين على الـدِمَا ء وُجُودهم ... تَعس الوُجود
يَاشَارِبين من البَـراءِ ة ..مِن دَمي..قَطَّـع الوريد
مَن بِيعكُم شَرفي تَلـذْ لَكم .. وتخْـضَّر البَـرود
وَبِضَحكة صَفْراء يَـز جِيها لَكـم شَـره المَريد
تَتَنافَخُون ... وتَحسبُو ن الأَرض في يَدكـم تَمـيد
سَخِرت مَرايـا العَصر حِينَكُم لوعَلِمتُم يَاقُــرُود.."[1]

فالعقيدة الإسلامية عند الغماري هي الماضي بعزه ومجده ، والحاضر بشوقه وتطلعه والآتي بحلمه وانتظاره، فهو مرتبط أشد الإرتباط بمبدئه ويتوقع كل يوم عودة الخضر وعودة الخضراء ،حيث يقول في قصيدة " لا أملك إياك "من بحر الرجز حيث يقول :

---

[1] : مصطفى محمد الغماري: أسرار الغربة، ص:162.

[2] : المصدر نفسه، ص: 163.

[1] : مصطفى محمد الغماري: أسرار الغربة، ص:139.

وَجهك الضَوئي يَاخَضْراء أَهْوى فيه عِطْره
أيُّ عِشْق فِي مَدى عَينَيك فَأَرْوي عَنه شِعْره
إنَّ مَن يَهْواك .ياخضراء .لاَيملِك أَمْـرُه."[2]

والغماري يبدو رافضا لكل ما يسيء للعقيدة الإسلامية وللأمة الإسلامية لذلك نجده ثائرا لا يستسلم أبدا فموقفه إذن هجومي دفاعي، هجوم على أعداء الإسلام، ودفاع على قيم الإسلام الخالدة وما بقي بينهما تفاصيل وأحداث وقيم جمالية وفكرية ، فالمواقف الهجومية هي التي يعني بها النيل من خصومه ، بفضح أساليبهم المختلفة ، أما الموقف الدفاعي فهو الذي يرد به على خصومه وينقض بها أقاويلهم ومزاعمهم.

وكما نتج عن المفرقات الأخلاقية والإجتماعية التي إصطدم بها الغماري في مجتمعه نزعة صوفية حيث يعرف الطاهر يحياوي الصوفية بقوله: "إن الغماري ذو نزعة صوفية ...من حيث ملكة نفسية " لازمة لمن وجدت في طبائعهم" وهي نزعة روحية ذلك العالم الديني الذي أقل ما يقال فيه أنه عالم الطهر والسخاء..وليست هي بالطابع العام يستغرق ملامحه النفسية والفكرية"[3]

الفصل الثاني الاغتراب في الشعر الغماري

فقد سيطر على فكر وشعور الغماري ذلك الواقع المزري الذي يعيش أشكالا متعددة من الصراعات والمتناقضات وبذلك لجأ إلى عالم تتسامى من خلاله عن هذا الواقع، فصوفية الغماري تعتبر حلا لتعاسة الواقع وبؤس الحياة من خلال فعاليات الواقع و رفضه ومجاهدته وهي نزعة جعلت منه ثورة متفجرة ناقمة على الواقع الفاسد، وعلى القيم المزيفة التي يراها في مجتمعه تتنافى مع شخصيته وضميره، ومنطلقاته الفكرية، فهو يعيش صراع فكريا، ويواجه كل المفارقات والمتناقضات الموجودة في مجتمعه، ومن ثم فقد نزع الغماري إلى العقيدة الإسلامية وأعلن من خلالها ثورته الجارفة على الواقع.

فصوفيته ليست صوفية حلولية، إنما هي من نوع التحدي، حيث يقول في قصيدة " أنا المجنون ياليلى "من بحر الهزج:

" أَنَا المَقْرُور يَا ليلى ... فَهل وَاحة بِكْر
أَنا الضَمآن يَا لَيلى وأَنتِ المَاء والجَمر
شُهودي في الهَوى شَوق وأنتِ وحُبنا الطَهر
وقُرآن الهَوى أَبدا حَدائِق في دَمي خُضْر"[1]

فليلى عند الغماري هي العقيدة الإسلامية وصوفيته هي صوفية ثورة وجهاد، فغياب ليلى جعله مغتربا متشوقا لرؤية العقيدة الإسلامية تسترجع مكانتها في المجتمعات الإسلامية، فأصبح يجد سعادته في العالم الصوفي الذي إختاره بديلا عن عالمه.

وهنا شعر الغماري يخدم العقيدة الإسلامية، ويقف في وجه كل من يسعى إلى تدنيسها والحط من قيمتها حيث يقول الغماري:" إن الأدب الإسلامي المعاصر الذي نريده أدب رسالة مقاتلة ،ودعوة مجاهدة"[2].

---

[2] : المصدر نفسه، ص: 136.
[3] : الطاهر يحياوي: البعد الفني والفكري عند الشاعر مصطفى محمد الغماري، ص:132.
[1] : مصطفى محمد الغماري: أسرار الغربة، ص:107.
[2] : عمر بوقرورة: الإغتراب في الشعر المغاربي المعاصر، ص:232.

ولعل قصيدة " ثورة الإيمان " التي افتتح بها الغماري ديوانه الأول أسرار الغربة أحسن مثال تستطيع من خلاله أن نبين التصور الخاص لوظيفة الشعر حيث يرى بأنه ينبغي أن يجاهد من خلاله، مدافعا باعتباره الرسالة الإنسانية التي يحيا من أجلها حيث يقول في قصيدة " ثورة الإيمان " من بحر الطويل:

" أُحَارِب فِي دِيني وفِكري وَمذْهبي
وَأَرْمي بُذور القَول فِي كُل مَشْعب
وَمَا أنا إلاَ غُصَة فِي حُلُوقِهم
وَحَشْرَجة الأَقدار في صَدْرِ مُذْنب
ومَا أنَا إلاَّ النَّار تَشوي قُلُوبهم
وإلا الضحى يرمي بأشلاء غيهب"[1]

ويعلن الغماري ثورته على القيادات العربية التي تحولت إلى غول سمسار، هذه القيادات التي اغتالت أهم مقومات الأمة العربية الإسلامية، ومست حريتها وكرامتها وقداستها ، وكل ما يكون شخصية هذه الأمة، حيث يقول في قصيدة من البحر المتدارك:

" أيّها الطَيْر الذَبِيح
بِسُيوفٍ عَربية
مُفْعَمَات بالفجِيح
بالوُعُود الكَرتَرية"[2]

فأصبحت لغة الإسلام لعبة بيد تلك القيادات الحقيرة التي حاولت ضرب الأمة العربية في عمق قوتها. فهذه الطامة الكبرى، هذه اللعنة الشمطاء، صارت قوة ضاربة، وتحولت إلى سلطان رهيب ينهش جسد الأمة العربية وبقتالها في أعز رجالها، ويقول في قصيدة من بحر الكامل:

" لُغَة السَلام حِكَاية
تَروي بِها خُور اللِئام"[3]

الفصل الثاني الاغتراب في الشعر الغماري

ومن كل هذا نجد أن ثورة الشاعر على الأنظمة العربية ثورة واعية متفتحة على حقائق الواقع ونتائج الممارسات المفلسة،هذه الممارسات العملية التي تشكلت في احتجاجات وندوات ومؤتمرات ولائحات كلامية سخيفة ، ضاربة عرض الحائط إلتزاماتها ومسؤلياتها المنوطة بها ،وبالتالي أدت إلى سقوط القيم الإسلامية والإعتبارات المقدسة للأمة الإسلامية العظيمة أمة الإسلام و الرجال، حيث يقول في قصيدة " ثورة الإيمان "من بحر البسيط:

---

(1) : مصطفى محمد الغماري، أسرار الغربة، ص:107.

(2) : المصدر نفسه، ص:126.

(3) : المصدر نفسه، ص:127.

" فَإن جَاهَرُوني بالعَداءِ...فَإنَّنِـي
آيةُ الله حِين كَيد الضَـلاَلة أَبْرأ
وَماذَاك... والثَورات فَتح القُدس
جَديد لأبْوَاب العُقول...ومَبْدأ
شُيوعِية حَمراء، تَشفي غَليلهم
وَلكنَّها تَدمِي القُلوب وَتظْمَىء"[1]

فالغماري هنا يغترب جراء ما يحدث فحين كان حكام العرب السفهاء يقضون أوقاتهم في قصور الخمور ويتبعون نزواتهم، كان اليهود يتقدمون خطوات سريعة في البقاع المقدسة ويعيشون فسادا ورجسا في مقدسات الإسلام، إنها المأساة الرهيبة في كل الوطن العربي الإسلامي الكبير، إنها المؤامرة الكبرى على المقدسات والأرواح.

وهنا يقول الغماري في قصيدة " أزهار الحنين " من بحر الوافر:

" ضَمْأَن... تَحْفُر فِي دَمِي الأَصْداء
يَاطَهر عِيسى ... يَارمَال مُحمد
مِن هَدْبِها ... تَتَبرعَم الأنْـدَاء
أَضلاَل قُدسِي ... آهْ شَوقي ضَامِيء!"[2]

وبهذا رفض مصطفى الغماري كل نفاق وعمالة وخداع، وثار ضد هؤلاء الذين اتخذوا من الشعارات والمبادئ الثورية قناعا يختفون وراءه من أجل تحقيق أغراضهم الشخصية هؤلاء يحاولون حذف الإسلام كمفهوم من مقومات الأمة العربية وذلك انصياعا لرغبات الغرب الطامع لتفكيك الأمة العربية الإسلامية، حيث يقول الطاهر يحياوي في هذا الشأن :" وهكذا يتضح

على طول الخط الجهادي الإنتمائي الرافض للشاعر الغماري ...أنه كفر بالوحدة العربية المزيفة ... وأنه ثار على كل انهزام ... فكان بشعره سيفا على كل الإنهزاميين " التقدميين" و"القوميين" و"الطائفيين"[1]

وغالبا ما نجد شاعر الجهاد الإسلامي مصطفى محمد الغماري ثائرا على الواقع الذي تعيشه الأمة الإسلامية، فهو واقع الزيف والأنانية، وواقع الخضوع والإنتحار، ومن هنا فالغماري شاعر رافض لقيم عصره التي تتناقض تماما مع ضميره وفكره، ومن هنا فثورته تعد مواجهة حقيقية وعنيفة، وبالتالي فهو مجاهد مدافع عن العقيدة الإسلامية مستجير بالدين الحنيف، ويستمد منه كل قوته، حتى يكون له عونا وسندا في ثورته وفي جهاده الإسلامي، حيث يقول في قصيدة " شكوى" من بحر الرجز:

" أَمولاَي....الهَوَى يَقْتَا
يَقْتَات من كَبِدي ومن مُقْلِي
ومَا لِي فِي الهَوى أَمَـل
سِوَاكُمْ ...أنتُم أَملِي!"[2]

---

(1) : مصطفى محمد الغماري أسرار الغربة، ص:08 – 09 .

(2) : المصدر نفسه، ص:42.

(1) : الطاهر يحياوي: البعد الفني والفكري عند الشاعر مصطفى محمد الغماري، ص:130.

(2) : مصطفى محمد الغماري: أسرار الغربة، ص:122- 123.

إذن فالغماري شاعر مسلم مجاهد ذو نزعة إسلامية، هذه النزعة هي التي دفعت به إلى ذلك الموقف الثائر ضد كل المفاسد والرذائل ، وهو مقتنع بموقفه هذا، وهو شاعر الجهاد لأنه ثائر مكافح دائما وأبدا، رافض لكل لصيقة بالإسلام ولكل سياسة لا تمت للإسلام بصلة ، لأنه يرفض كل ما يرفضه الإسلام فهو شاعر الجهاد الإسلامي بدون منازع.
حيث يقول في قصيدة:" إلى صوفية الوجه و الثورة " من بحر البسيط:

" هِـي الغَريبَـة في أَوطانِها...وأَنـا...
أَنـــا القَتِيـل فَما خَوفِـي من النَشَـب
لَمْلَمَـــت حُزْمة أَشعَاري... وَقلْت لَهَـا
ثَورِي علَى الدَربِ... بَثِي النار في الحَطبِ
وَسَافِـــري ... فَكِلانا زَادهُ أَلَـم"[3]

الفصل الثاني الاغتراب في الشعر الغماري

ففي قوله "الغريبة في أوطانها " فيعني بها العقيدة الإسلامية فبالرغم من وجودها بين أهلها ،فهي غريبة لأنهم يطبقونها ولا يعملون بها والشاعر لأنه شاعرها فهو قتيل، إذا لا وجود له إلا بوجودها ومن هنا كانت غربة الشاعر والعقيدة ومن هنا حدد الشاعر موقفه ومن كل هذا نستنتج إغتراب الغماري، إذن فهو مغترب باغتراب هذه العقيدة ، وثورته هي على الواقع بكل ما فيه من متناقضات، حيث يقول في القصيدة نفسها:

" تَـواثِبُ الرَفض ... طُوفانَا منَ الغَضَب
يَـــا غُربة الرُوح في أَبعَاد مُغْترب
هَيَّا أزرعِينـي مَدى يَخْضل فِي رَهقِي
وَثَـــورة فِي دُروبِ القَهر والغَلَـب"[1]

والرفض الإنتمائي يتضح جليا من خلال أشعار الغماري، فهو شاعر الإسلام المجاهد المدافع عن العقيدة الإسلامية الثائر ضد كل من يحاول النيل من الإسلام، إذ يقول الطاهر يحياوي عن الغماري:" إنه يعيش أحداث القرن العشرين وبمتناقضاتـه، فحدد موقفه دونمـا تردد أو تشكك، فأوقف جهـاده عن الإسلام، واستمات في الدفاع عنه، وبذلك صارت العقيدة الإسلامية حياة متكاملة زاخرة في شعره ، حياة ممتدة الأبعاد في كونه الفني والنفسي متغلغلة في روحه ووعيه"[2]

فكانت صوفيته محاولة للتخلص من الواقع المزري الذي يعيشه مجتمعه، فيبدو الغماري متمردا على الواقع الفاسد الذي يتسبب في خلقه أعداء الإسلام، فجاهد بأشعاره في سبيل إعلاء كلمة الحق ونصرة الإسلام والمسلمين.

---

[3] : المصدر نفسه، ص:126.

[1] : مصطفى محمد الغماري: أسرار الغربة، ص:125.

[2] : الطاهر يحياوي: البعد الفني والفكري عند الشاعر مصطفى محمد الغماري، ص:64.

ب- **الهـروب من الواقـع** :

يعد الهـروب من الواقـع نوعا من الرفض للواقع والثورة عليه، وهذا ناتج عن حجم الظلال والفساد الطاغيين والمتفشيان في البلاد العربية الإسلامية، إنه رفض ساكن في ضمير الشاعر الإسلامي، فهو يرفض البنيـة السياسية والفكريـة التي يعيشها في مجتمعـه، والتي تخضع لسلطة الحكام.

وهذا الرفض ليس انطواء على الذات بل هو سبيل إلى إغتراب روحي ينتج عنه إنتماء مختلف ، وهنا تمكن الإيجابية في الإغتراب حيث أن الشاعر لا يستطيع أن يرفض واقعه إلا إذا كان لديه واقعا آخر بديلا، فهو لا يشعر بالتآلـف مع الواقـع الذي يقهر ويظلمه وهذا ما يولد مشاكل بين الشاعر وبين الحكام فاغتراب الشاعر هنا إيجابي لأن هذا الرفض والهروب يجعله يقدم روعى فكريـة مختلفـة، وذلك بالرجوع إلى الذاكرة كي يقدم من خلالها رجوعه إليها ما يمكن أن يساعده على مواجهة ما يعانيه في الواقـع ، خلال تفاعله مع الذاكـرة فإنه يتفاعل مع النماذج المعادلة القوية التي يقدمها.

والشاعر برجوعه إلى الذاكرة فإنه يعتمد كثيرا على الجانب الروحـي الذي ستمد منه القوة والغرة التي تبرز كينونته ووجوده،وهي الميزة التي لا توجد في واقع الشاعر وبهذا نجد الشاعر قد تحول من رافض سلبي إلى مغترب إغترابا إيجابيا، فيعيد الأمور إلى أماكنها.

وتظهر ملامح الرفـض في شعر الغماري في إيقاعاته العديـدة المتفجرة التي توحـي بالرفض لهذا الواقـع المحيط سياسيا ، ففي قصيدته " عندما توقظني الذكرى" تستقيظ الغـرة في نفسه و تستولي عليه حنايا الذاكرة التاريخية حيث يقول من بحر الهزج:

" أَنَـــا اللَّهبُ الذي تَنْثال ... تُورِق منه أَمطَار
أَنَا الماضـــي عَلى عَينَيك مُزدَهر... أَنَّا النَار
أَنَا الدَرب الـذي طَالت به الشَكوى... أَنَّا النَار"[1]

فطبيعي هنا أن ترد اللغة قويـة ، تتوافق مع نظراته للواقع المرفوض، حيث يقول الغماري: "إن الشعر تعامل مع اللغـة، يسمو ويتـألق بمقدار سمو وتوهج المعاناة لدى الشاعر الأصلي ،وبمقدار عمق التجربة وأصالتها في غير ضبابية مفتعلة"[2]

فالشاعر في حالة إنفصال وإختناق وغضب نتيجة الشعور بالإغتراب في زمن الردة.

الفصل الثاني الاغتراب في الشعر الغماري

إلى جانب الإغتراب الإيجابي المتمثل في رفض الواقـع الذي يعتبر هروبا منه نجـد إغترابا سلبيا متمثلا في الـهروب السلبي من الواقـع، حيث يكثر هذا النوع عند الشعـراء المحدثين نتيجـة الشعـور الحـاد بالإغتراب والوحدة والعذاب ، يقول الغماري في قصيدته "رباعيات وتر جريح" من بحر الكامل:

" الوَب الوَب ... تَطويـنـي مَسافاتـي وأَبعَـادي
وأَرقُـب في حَنايا رِحلـة خَضْراء حِيـلاَدي
تَفَشت في دَمي- يَاآم ...قَافية الـهَوى الصَادي
وغَنَّى الوَجد ... فَانسَفَحت على نَجْواه أَورَادي
حَنَانك يَاإلهَ الكَون ... بُرعُم في دَمي شَفَقـا

---

(1) : مصطفى محمد الغماري: أسرار الغربة، ص:167.

(2) : المصدر نفسه، ص:08.

وَأَمطر في دَمي بُعد بِبوح الوَجـد مُحترقـا"[1]

إنه الهروب السلبي من الواقع ، ناتـج عن الإحساس المفـرط بالخيبة والإنهزام والإحباط من الفراغ الثقيـل الذي يكبس على صدر الشاعر، فالأيام تسير ببطء، ثقيلة ثقل الجبال، والفراغ يحاصره من كل جانب ويطبق على أنفاسه ، فيهرب من جحيم الواقـع الأليـم بالثرثرة الفارغة والحديث البليد، كما أن الشاعر قد يهرب بالذاكرة إلى الماضي، ينتقي منها شخصيات بارزة فيها لمقارنتها بواقعه المرير، فيكشف النقاب عما فيه من زيف.

حيث يقول عبد الحميد هيمة:" إن المغترب يحـاور الشخصية التراثية كنوع من الإغتراب وشعور بالإستيلاب مما يعطي للنص طابعا فنيا مكثفا"[2]

الفصل الثاني الاغتراب في الشعر الغماري

ويلجـأ الشاعر إلى التاريخ الإسلامي يستمد منه رموزه للهروب من الواقع المنحط والآلام والهزائم التي يعاني منها، حيث بـرز الفرق بين الماضي والحاضر، فينفصل الشاعر عن واقعه ليتصل بالماضي الذي يجد فيه الملاذ المناسب، حيث يقول الغماري في "الشـوق الآتي" من بحر الكامل:

" يَـا مُبحِـرا بِهمُومـه
بِربَابـة سُـكْرى النَشيد
إنّي لأَلْمـح في جَبـينك
طَارقـا ... وإبـن الولِـيد"[1]

وتختلط الأبعـاد الزمانية عند الغماري، وذلك بسـبب رفضه الكلي لواقعـه، وإيحائه لماضي الأمة الإسلامية في قمة أيامهـا، فيصل بذلك الماضي بدل الحاضر، ويحلم بمستقبل زاهر تكون الكلمة فيه للعقيدة الإسلامية وحدها مثلما كان سائدا في الماضي، فيقول من بحر الكامل بقصيدته "عودة الخضر":

"وَأَنـا الرَبيع سَرى... فَكان مُحمد
يَسقي الوُجـود... حَلاوة الإيمان
عَانقْـت فِيك أَخا وَرَعت مَنَاسكا
وَهَصَرت ... نِعَمْ المُجتنِي والجَاني"[2]

والشاعر برجوعه إلى الماضي يستخـدم الشخصيات التاريخية ليواجه بها الأحداث الراهنة ،ليكشف الواقع وما يحتويه من زيـف، وخـداع ، وذلك عن طريق المقارنة بالماضي، فتنصب كل أحداث الماضي على اللحظة الراهنة، فيحس الشاعر بعدم جدوى مخاطبة معاصريه.

---

[1] : مصطفى محمد الغماري: أسرار الغربة، ص:113- 114.

[2] : عبد الحميد هيمة: الصورة الفنية في الشعر الجزائري المعاصر شعر السبعينات نموذجا 1985،ص: 29.

[1] : مصطفى محمد الغماري: أسرار الغربة، ص:131.

[2] : المصدر نفسه، ص:36.

وبالتالي يكون الماضي بالنسبة للغماري معادلا موضوعيا، فيقول في قصيدة " لو قرأت كتابي" من بحر الكامل:

لَو قَرأت القرآن مَا كنت إلا ثَائـرا
في الوُجـود ... يُنشـد عَـدلا
وَكِتابي العَظيـم تَتَبـوع يُســر
ضَلَّ من يَجهل الحَقيقة ...ضَـلا"[1]

فالشاعر دوما متمسك بموقفـه، فهو يدافع عن العقيدة الإسلامية في عصره لأن حاضره لا يقوم على أساس إسلامي صحيح، فهو رافض لكل ما لا يقوم على الإسلام، وذلك من خلال الدفـاع عن الماضي، أي تاريخ الأمة الإسلامية المجيد، فالغماري إذا ينطلق من الماضي باعتباره القدوة الحسنـة لأي محاولة لإصلاح المجتمـع، حيث يقول في قصيدة " وثيقة شوق إلى حب الواعد " من بحر الكامل:

" أَحِبــاي ...كَانوا في الوجُود ... ومَا كُنا
وعَادوا ...كَأنفاسِ الأَميل ...فَهل عُدنـا ؟
وَفي شَجر التَاريخ ... كَانوا ...جُـذُوره
فَيا شَجر التَاريخ ... بُرعم لنا غُصنـــا
أَجل ...كَان أَحبابي ...وكُنـت مُعانقــا
هَواهِم ...وَكم غَنيت دَربي ...وكَم غَنى..."[2]

كما أنه ينطلـق من الماضي أيضا ليشابه بينه وبين الحاضر في كون العرب قد سيطرت عليهم الأنانية والحقـد والطمـع، مثلما سيطرت على قابيل الذي سولت له نفسه قتل أخيه هابيل حيث يقول الغماري في قصيدة " مأواك في الغاب " من بحر البسيط:

" يَمتصنا الحِـقد ... " قَابيل " عَلى يَـده
دَم "هَـابيل" ... جَلَّ الجُـرح أَجزانا
وَمَا لآدم من سَمــع ومن بَصــر
لَو شَاهد الجُرح ... ضَمَّ الجُرح أَجفانا"[3]

الفصل الثاني الاغتراب في الشعر الغماري

(1) : مصطفى محمد الغماري: أسرار الغربة، ص:46.
(2) : المصدر نفسه، ص:69.
(3) : المصدر نفسه، ص:101.

(1) : عبد الله الركبي: الشعر في زمن الحرية، دراسة أدبية ونقدية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر1994 ،ص:165.

ويعد تصوف الغماري نوعا من الهروب من الواقع، فقد وجد الشعر الحر بعد الإستقلال مناخا يساعد على انتشاره واهتمام القراء به رغم أن الذوق قد تعود على الشعر العمودي أمثال الغماري وغيره ، إذ يقول عبد الله الركيبي:" إن الغماري قد كرس شعره كله تقريبا للتنويه بالعقيدة الإسلامية وبروح صوفية"[1]

فالعقيدة الإسلامية، أصبحت غريبة في ديارها وفي مجتمعها الذي أصبحت تسود فيه متناقضات كثيرة، شملت كل المجالات المختلفة.

ومن هنا جاءت صوفية الغماري الرافضة لهذه الأوضاع، والدافعة عن العقيدة الإسلامية، فهو يصرح بهذه الصوفية في قوله من بحر السريع:

" قَالوا: الـتَصَوف بِدْعة مِن شَرّ أَخلاق الهُنود
قُلتُ: التَصوف يَا فَتَى شَوق الخُلود إلى الخُلود
لَولا التَصوف لَم يكُن سِر الوُجود وَلاَ الوُجـود
أَنـت الفَنَاء وَفِي فَنَائك مَا نَشاء ومَا نُريـد"[2]

وغربة الغماري غربة صوفية لجأ إليها للكشف عن الحقيقة و البحث عن المعادل الوجداني لنفسه، وذلك بالتسامي عن الواقع المحسوس و الهروب إلى عالم المثل العليا، ليخلص النفس من تفاهة الحياة وانحطاطها وماديتها، وهشاشة الواقع، ويتجلى ذلك في شيوع الألفاظ والمعاني الدالة على الحزن والشعور بالغربة، والتسوق إلى الوصال ، حيث يقول في قصيدة:

" أنا المجنون يا ليلى" من بحر الهزج:

" أَنَا المَجنون يَا ليلى وأنـت الجِـن والسِحـر
أَنَا السَاري بِليل الحُزن لاَ شَـفـق ولاَ فَجـر
وَيَا ليلى الهَوى الغَدري ... شَوقي رَاعف غُمر
عَلى وَادي القُرى لِبيـت لَما هَاجني الذِكـر"[3]

الفصل الثاني الاغتراب في الشعر الغماري

فيبدوا الشاعر عاشقا ولهانا، ذائبا في الحزن على الفراق على طريقة العذريين، وصوفيا متجهدا في آن واحد، وما ليلاه إلاّ العقيدة الإسلامية التي يجاهد في سبيلها، وهذا مجرد إسقاط لإغتراب روحي يلازم الشاعر في وطنه بسبب تغيب العقيدة الإسلامية في المجتمع.

فالشاعر عندما يبتعد عن العقيدة الإسلامية، فإن صورة راحلته تهيم في الليل ، وصورة الغربة السوداء والناي ذي الصوت الحزين، كلها تنبئ بالهروب إلى عالم آخر أقامه الشاعر مختلف عن عالمنا هو عالم التصوف يقول أبو القاسم سعد الله : " فالغماري إذن دائم السفر في بحار الشوق والثورة باحثا عن حلمه الضائع"[1]

وهو بهروبه هذا يتنقل من حلم إلى آخر ، يقوده بعيدا عن واقع اليقظة المليء بالإنهزامات والإحباطات فيقول الغماري في قصيدة " سفر في مسافة الشوق " من بحر البسيط:

"أُسافر فِيك يا سَـفري ويا هَمـي... ويا أَلمِـي
وَأَوغل فِي... أَحمل قِصتي الخَضراء مِلء دَمـي

---

[2] : عمر بوقرورة: الإغتراب في الشعر الإسلامي المغاربي المعاصر، ص:378.

[3] : مصطفى محمد الغماري: أسرار الغربة، ص:107.

[1] : أبو القاسم سعد الله: تجارب في الأدب والرحلة المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1983، ص:150.

تُسافر فِيـك أَسمار اللَيالي السَمر ... يا حُلمـــي"[2]

لكن الشاعر يظل محتفظا بثورته رغم سفره وحزنه ويقول في هذا المجال من بحر المتقارب:

" وجَلت صِحة عَذراء قَالوها ... ومَا انهَزموا
سَنرفض وَجه غُربتنا ... سَنرفضه ولاَ نَـدم
وَيُورق رَفضنا ... وُلتسقط الأَشباح والنُظم
وَنـهتف يَاجراح الكِبر يا إخوان ... فَالتمئـوا"[3]

كما إستعـار الغماري قيمه صوفية أخرى للهروب من الواقـع ، هي استخدامه للخمرة والسكر ،للدلالة على المحبة الإلهية، لأن هذا الحب هو الذي يفرق الشاعر في السكر،وبذلك فهو يتسامى عن عالمنـا المحسوس إلى عالـم الصوفيـة حيث يقول في قصيدة " أغنية اللهـب الرحيـم" من بحر الرجز :

" أَنا في صَباحك صحوة المَاضية لاَ تَهويم سِكـر
أَنا فِيك لَحن مُوغل بِصبابة الحُلـم الأَغـر
سَواعد تَغزو مَجاهيل المَدى المَخمور...سَمـر
بِلهاة عِشق أَورقت شَكوى .. فَرف جُناح صَبري"[1]

فإسم الخمـرة هنا يوحي بالسكـر في حب الذات الإلهية،هذا الحب الذي شغل قلب الشاعر نارا ويؤججه لهيبا ،فيزداد الشوق والحب والحنين،والغماري يتمسك بهذا الحب ويصر عليه،ليدافع به عن العقيدة الإسلامية ضد الشهوة.

---

(2) : مصطفى محمد الغماري: أسرار الغربة، ص:97.

(3) : المصدر نفسه، ص:99.

(1) : مصطفى محمد الغماري: أسرار الغربة، ص:147- 148.

ج- التشاؤم والحزن:

يبدو مصطفى محمد الغماري من خلال أشعاره حزينا متشائما يصور لنا مجتمعا وواقعا مليء بالمتناقضات ، وبالظلم والقهر، الأنانية وكل أنواع الإنحراف وهذه المأساة التي يتخبط فيها المجتمع الجزائري والعربي عامة ، صنعها الغرب اللعين الذي بث في مجتمعاتنا أفكارا مسمومة نتج عنها تفكك ساد بين أفراد المجتمع، يقول الغماري في لهجة مليئة بالحزن من بحر البسيط:

" يَلوكني أَلمي .. يَا أم يُدميني
فَأجعل الحُزن بعضا من تَلاَحيني
أَرنو .. وَأبحر فِي الأبعاد .. ضَامئة
سَفائني .. وبِحار الشَوق تُقصيني"[1]

فهو حزين لما آلت إليه العقيدة الإسلامية من ضياع، وتشرد، جهل ،وانسلاخ ،لأن أبناء هذا المجتمع المسلم أخذوا يقلدون الغرب تقليدا أعمى، وشمل حتى الإيديولوجيات، فتبنوا الإيديولوجيات الغربية، وبالتالي انسلخوا انسلاخا تاما عن قيمهم المستقاة من الدين الحنيف،حيث يقول في وقصيدة "مضروفة الألم " من بحر المتدارك :

" وَفي الأَلم الرَبيعي المُوشى صَوت قِيثاري
لآكل مِن سِنين المَوت
مِن رَهج الظَلام المُر
تَشرب من دُموع الصَمت أَنهاري"[2]

هنا يظهر جليا من خلال هذه الأبيات الشعرية أن الغماري يعاني من توتر حاد في المشاعر ،يبين مدى الألم والحزن الذي يسيطر على نفسه ، ومن الألفاظ الدالة على ذلك الألم، الموت ،الحزن، تنتحر، فهي تدل على ما يجتاح نفس المشاعر من حزن وأسى بالغين.

الفصل الثاني الاغتراب في الشعر الغماري

ونفس المشاعر نجدها عند الشاعر في قصيدة " ثورة صوفية " من بحر البسيط :

" وَيَنتحر إخضرار اللَحن
يَاقَدَري
يَموت بِراحتي وَتري
فَتُبكيه

---

(1) : مصطفى محمد الغماري: أسرار الغربة، ص:55 .

(2) : المصدر نفسه، ص:91 .

تَوَاشيح الحَنين المُـر
تَعصـريه لِتسقيـــه"[1]

فصوفية الغماري في هذا المقطـع تختلف عن الصوفية العادية لأنها تحمل في طياتها حلما واقعيا يسعى لإسعاد البشرية، وتجديد الواقع ونشر الشريعة الإسلامية، فالشاعر يسكر وهذا دليل على الفنـاء في المعشوق أو الإتحـاد والتجلي حيث يقول في قصيدة " أنا المجنـون يا ليلـى" من بحر الهزج:

" وَجل العِشق فِي التَوباء ... يَا عُشاق ... والذِكـر
وَحَاد في الرِمال السَمـــر يَعشق لَحنه البَدر
وَركب حَيثما سَـاروا ... يَحبوا أَينما مَـروا
يَرف الحُب بين دُروبهم ... فَدروبهم زهـــر"[2]

فالسكـر الصوفي إذن يعني الهروب من الواقـع المريض الذي عجز الغماري عن مقاومته ،فاستسلم له بالسكر، وحاول نسيانه والهروب من رتابته، فالغماري في هروبه من الواقع مغترب متصوف ثائر مسافر،يحاول أن يصلح المجتمع ويدافع عنه بالعقيدة الإسلامية ويواجه هذا الزمن الرديء الموجود بأشعاره.

إذ يقول مصطفى الغماري في قصيدة " هيلانا " من بحر الهزج:

" يَلوك الحُزن أَشواقي ... يَئن اليَأس وَالضَجر
يَطوحني كَما الآمـال في جُنبي ... تَنتحـر
فَيدميها اللَهب المُر... يُدميهـا ... فَتنتشـر
بَعيـد عَنك هَيـــلانا ...فَلا نَاي ولاَ وَتـر"[1]

ولكن رغم هذا الحزن والتشاؤم إلا أننا نلمح ذلك الأمـل والتفـاؤل في قوله في قصيدة من بحر الهزج:

" غَدا يا قِصتي السَمراء أَجنبي فِيك إسعادي
فَيحضر الدَم الضَمأن في أَعماق أَمجـادي
وَمن حَولي هُتافك يَرتوي من كَرمه الوَادي
يَضم الله فَاصلة... تَعطر دَربنا الصَـادي"[2]

فالغماري متفائل بعـودة العقيدة الإسلامية التي رمز لها بهيلانا ، حيث أن غياب "هيلانا" يسبب له شعـورا دائما يالضيـاع واللاإستقرار والحـزن المستمر حيث يقول في قصيدة: "جهاد وغربة" من بحر المتقارب:

" إلَيك سَكبْت اللُحون الوَضَّاء

---

(1) : مصطفى محمد الغماري: أسرار الغربة، ص:73.
(2) : المصدر نفسه، ص:108 .
(1) : مصطفى محمد الغماري: أسرار الغربة، ص:37.
(2) : المصدر نفسه، ص:40.

وَقُلت:وَنَجْواك أَحْلى قَصِيدة
وَثَارت دُروب فَقلت:لقَـاء
بِحَجم المُعَاناة يَرْسم عِيدَه"[3]

يظهـر حجم المعاناة التي يعيشها الشاعر من خلال إستخدامه للفظة " المعاناة " فاستخـدم " حجم المعاناة "و" سيف المعاناة " و" تهز المعاناة " وكذا " المعاناة صعبة ".
فهنا وفي هذا المضمـار يقول الدكتور حسن فتح الباب بشأن إستخدامه لهذه اللفظة: " قد شربت غير مرة دون وعي من الشاعر لشدة حاجته النفسية للبوح بها"[1]

إذن فألم الغماري وحزنه ناتج أصـلا من تقرب الإسلام في ديار المسلمين، فاستخدم رمـز " قابيل" ليبين كيف يعيش إنسـان العصر الحديث في مجتمع مليء بالحقد والأنانية،ومن هنا كان حـزن الغماري ناتـج عن الحالـة المزرية التي يعيشها مجتمعنا المسلم، حيث يقول في قصيدة " مأواك في الغاب " من بحر البسيط:

" يَمْتصنا الحِقد قَابِيل على يَـده
دم لِهَابيـل جَـل الجُرح أَحْزانا
ومَا لآدَم مِـن سَمْـع وَمن بَصْـر
لَو شَاهد الجُرح ضَم الجُرْح أَجْفانَا "[2]

فقد أحسـن الشاعر التعبير عن الوضعية السيئة التي يتخبط فيها العالم الإسلامي ، فكآبتـه وحزنـه ناتجـان عن وعيـه التـام بواقـع الحيـاة والمجتمع ، يقول الغمـاري في قصيدة "رباعيات وتر جريح "من بحر الطويل:

" وَأعْصر يَا أَغَاني الضَوْء ...أَشرب ثَار أَلامـي
وَتَيْبس فِي دَمي رُؤياي تَصْلب فِي أَحْلامـــي
وتَنبت غُربـة وَحْشية تَغتـــال أنسَامـــي
وَلَما غَنـت عَلى ضَمأ بِنار الحُرْق أَيامِـــي"[3]

---

(3) : المصدر نفسه، ص:42.
(1) : حسن فتح الباب: شعر الشباب في الجزائر بين الواقع والآفاق، المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،1987،ص:209.
(2) : مصطفى محمد الغماري: أسرار الغربة، ص:101.
(3) : المصدر نفسه، ص:111.

هي قصيدة تصور مدى الشعور بالألم والإضطهاد، إنها إذن صورة من القلق والضياع والشعور الحاد بالإغتراب، ويقول في قصيدة " أتون" من بحر الكامل:

" سَلَم دم... وَخَواطر أَشْتَات
وَتَقوى على جَمْر المَدى يَقْتَات
وَرُؤى تَلُوب جَريحَة...أَعْماقها
مَصْلوبة في جُرحِها الكَلمَات"[1]

الملاحظ هو شيوع ظاهرة الحزن والتشاؤم التي تنبئ عن نفس منكسرة حائرة، مليئة بالألم والمعاناة والحيرة، هذا الألم ناتج عن مدى تحمل نفس الشاعر من هم إجتماعي ووطني.

فالغماري يعمق فينا مشاعر الحزن والألم على الواقع الأليم الذي يعيشه، فهو يصور الضياع في بحار الغربة النفسية، والآلام التي يعاني منها، وهذه الأحزان ليست أحزانه فقط، بل هي أحزان الأمة العربية والإسلامية جمعاء، حيث يقول في قصيدة " إطمئني أماه " من بحر الكامل:

" أَيها الجُرح ... لَمْلَم النُّور - وَأَضْرب
جِيهة اللَيل ... والضَيَـاع الغَبِيا
فِي بُخَارِي ... أُخت الجَزائر فِي الحُب
نُنَاجي صُوفِيها العَبقَـــــريا"[2]

فلأجل هذه الأحزان التي يعانيها ، يغنى ويوغل في العقيدة الإسلامية هروبا من الألم ،ويتحول اللون الأخضر إلى زاد وحيد للشاعر في دروب الألم والحزن.

ومما يلاحظ على الغماري من خلال أشعاره أنه يبدو كسيرا يعاني غربة روحية نفسية تمثلت في هذه عن أفراد مجتمعه حتى غدا وكأنه حي بين الأموات، وقد تجلى في إحساسه بالوحدة والعزلة، وفي كثرة تذمره من الحياة والناس، وفي مشاعر الأرق والكآبة، والقلق التي هيمنت على شعره، وأضفت عليه طابع الحزن والألم.

الفصل الثاني الاغتراب في الشعر الغماري

3- أثر الإغتراب في لغة الغماري الشعرية:

أ- المفردات والعبارات :

إن اللغة هي الوسيلة التي يتخذها الشاعر للتعبير عن تجربته في الحياة، وهذه اللغة نجدها تتأثر شديد التأثر بها وترتبط بظروف الفرد و ما في نفسه من مشاعر وأحاسيس مختلفة يخرجها عن طرق اللغة التي تحتضن رؤياه ويجعلها، تحيط بتفاصيل تجربته، فيعمل بذلك على البحث عن اللغة

(1) : مصطفى محمد الغماري: أسرار الغربة، ص:159.

(2) : المصدر نفسه، ص:50-51.

المناسبة المعبرة عن تلك الحالة والمعانات التي يحسها من جراء العامل المسبب للحالة والدوافع التي جعلتـه يستخـدم مثل تلك اللغـة ومـدى نجاحها في تصوير الآلام والأحـزان التي يعيشها .

وهذه اللغة التي يستعين بها قد تكون واضحة المعالم أو لغة مبهمة غامضة لا يفهمها أيًا كان إلا باللجوء إلى تحليل نفسية القائل وفق دوافع نفسية وإجتماعية جعلته ينضم مثل هذا النتاج الأدبي.

يستنبط الغماري ألفاظه وتعابيره من تجاربه الخاصة، وذوقه الخاص ، ومدى وعيه بمعاني الكلمات وأبعادها ، وقد إنعكست هذه الألفـاظ على نفسية وشخصية الغماري فأعطتها بعدا فنيـا وشعريا متميزا ، فلسفة الغماري قد غبرت عن ذلك الإحساس بالنفي، والغربة والضياع والتشرد ،ولذلك جاءت ألفاظه أو مفرداته كلها قويـة وحاسمة تعبر عن رفضه الشديـد لذلك الواقع الذي يعيشـه، كما تـدل بلا شك على ذلك المخـزون والطـاقات الإيحائية، والتعبيرية والموسيقيـة وعلى التراكـم المعرفي الممتد إلى التاريخ الإسلامي عبر العصور ، وإلى القرآن الكريم اللذين زودا لغـة الشاعـر بكثير من التطـور والنمـاء في قصائده فقد تلقـى تعاليم الديـن وأصوله وهو في ريعان شبابه، نستطيع أن نقول لازمته منذ الصبي، إذ قال أبو القاسم سعد الله :" فتعاليم مدرسة والده و زاوية بلعموري والمعهد الإسلامي ما زالت تلازمه حتى هذه الساعة."[1]

فتعلمه كان دينيا محظ إذ أنه تلقى الدين وهو لا يزال صبيا، وهذا ما شكل لديه ثقافة دينية انعكست على أشعاره ويقول في قصيدة "مناجاة " من بحر السريع:

"صُوفية أَسرارُك النَش وَى،وَصُوفي أَنَـا
عُذرية أَنغامنا البَيضـ ـاء يَاأم السُنُـى
تَمتـد فِيـك يَـادروب لِحب نَروي سِرنـا
فَتورق الأَسحار هَمسا حِين نَسقي عِشقنا"[2]

الفصل الثاني الاغتراب في الشعر الغماري

ولعل أكبـر قـدر من هذه الألفاظ التي تـدل على إتجـاه الشاعـر هي اللغـة الصوفية مثل: صوفي، أنغام، دروب، الأسحار، فالشاعر مغترب متصوف، حيث يقول في قصيدة :"أقوى من الأيام" من بحر الرجز:

" بُرعُمة نَجْـواه فَكانت صَحـوة
مِن سِـكرها .. غَنَيت فِي خَفقانِ
شَاهَـدت نُورَك يا إله مُعَطـرا
سِحري .. إذا نَام الوُجُود سَقانِي"[1]

فالألفاظ عند الغماري ... ليست تلك المفردات الوصفية والأجراس والإيقاعات... ،فزيادة على ذلك فإنها تأخـذ ألوانا وأبعادا فنيـة تستمدها من روح الشاعر ومن تجربته النفسية الواعية التي يعم شعورها وطابعها كل وسيلة ووحدة بنيوية داخل التركيب الكلي ... فألفاظه كما يقول يحياوي الطاهر" الألفاظ عنده ذات شفافية وإشراق (ضوئية)."[2]

يقول الغماري من بحر الكامل:

" لَحـي يَتصَاباها الظَلال ... ويبْـتني
وَكـور ... بِها تَنـزو رِياح عَداوة
سَـأحِرقها بالحقِ .. فِي مُقلة الضُحى

---

[1] : أبو القاسم سعد الله: تجارب في الأدب والرحلة، ص:148.

[2] : مصطفى محمد الغماري: أسرار الغربة، ص:117-118.

[1] : مصطفى محمد الغماري: أسرار الغربة، ص:63.

[2] : يحياوي الطاهر: البعد الفني والفكري عند الشاعر مصطفى الغماري، ص:71.

وتَـرْدَى خَفافِيش الظَـلام انتِفاضتي"[3]

فالشاعر لا يزال متمسكا بموقفه تجـاه أعداء الإسلام، فيرمز لهم بخفافيش الظلام، ذوي اللحي الطويلة التي يقدر إحراقها، لأنها رمز لمبدأ يناقض مبدأ الشاعر، وهو هنا جريء وشجاع لأنه يحرقها في مقلة الضحى، فهو واثـق من نفسه ومن صواب موقفه لأنه ينطلق من العقيـدة الإسلامية، في حين ينطلـق هـؤلاء من قناعات مفتعلـة، إذ يقول الغماري في قصيدة **"هيلانا"** من بحر الهزج:

" يَلوك الحُزن أَشواقي ... يَئِن اليَأس و الضجَر
يَطُوحُني كَما الآمال في جَبِينـي... تَنتَحِـر"[4]

الفصل الثاني الاغتراب في الشعر الغماري

الألفاظ المستعملة في هذه الأبيات كلها تـدل على حزن وألم الشاعر مثل يلوك، اليأس، الضجر ،يئـن، يطوحني، تنتحر، يدميها، المر، تنتثر.

فمثلا لفظة " يلوك" قد استخدمت هنا في غير معناها الأصلي الذي هو مضغ الأكل، فوردت في هذه الأبيات بمعنى التجريح والإيلام ، فأشواق الشاعر يلوكها الحـزن في شدة وقـوة دونما رحمة، فتنتحر آمالـه من شدة اليأس والضجر اللذين يجتمعان ضد الآمـال والأشواق، فالشاعر منهزم لأن أشواقه تطمح إلى المثل العليا، والقيم الخالدة التي استعص عليه.

فالحـب والشـوق إلى مشاهدة الذات الإلهية كان السبب في صيامه، وسكـره.

فالمضامين الشعرية عنده، مع أنها تبدو مضامين حسيـة في وصفه الخمـرة مثلا، إلا أنها ذات دلالات أخرى، يقول عبد الحميد هيمة: " إنها تقع في تماس مع مدلولات تجربة الشاعر المتشبعة بالفيض الصوفي ، فتتحول الخمرة إلى موضوع مقـدس، يطوف به العارفون، ويستلمون دنـه ،غير متحرجين من عيب أو دنس، حيث أنه يجمع بين طابع تجريدي، وطابع حسي، وهو يسعى بهذا الشكل لإقتناص لحظات التجلي والإشراق"[1]

والغماري يستعمل كثيرا الألفاظ والمفردات الدالـة على الألوان ، فهو يرمز باللون الأخضر إلى الفرحة والبهجة والأمل، الحرية.

فالخضرة في الشعر المعاصر، غالـب ما تجمدت عند البراءة والشفافية والأصل الآمـن في كل شيء، في الصوت، الضوء، الشعر، الأرض والمشاعر، وكذا الأشياء.

وليس شيـوع الحضرة مرتبط بشعراء القرية دون المدينة ، فهو رمز شائع في الشعر المعاصر عموما، يقول الغماري في قصيدة "عودة الخضر" من بحر المتقارب:

" آتٍ ويَسبِقني الهَوى لِمَواطِن
شَوقُ الهَـوى فِي دَربها أَزهـار
آت إليك ...ففي الشواطيء فَرحة
يَا ابن المِياه الخُضر...مَالك مُمعن
بِسوى السَلام حُروفها الخَضراء"[2].

---

[3] : مصطفى محمد الغماري:أسرار الغربة، ص:35.

[4] : المصدر نفسه، ص:13.

*"هيلانا": هي أسطورة بكستانية إسلامية ترمز للقوة الذاتية ومواجهتها لكل التحديات والرافضة للظلم وقهر.

[1] : عبد الحميد هيمة: الصورة الفنية في الشعر الجزائري المعاصر، شعر السبعينات نموذجا، جامعة قسنطينة،1995 ،ص:25.

[2]: مصطفى محمد الغماري: أسرار الغربة، ص:38-39.

كما استخدم اللون الأسمر، والوردي والأبيض حين ، واللون الأسود، الأحمر للدلالة على كل أنواع الشر والقهر والحرمان والإلحاد والفساد، حيث يظهر ذلك جليا في قوله في قصيدة " أسرار الغربة " من بحر البسيط:

" تَشتَاقه سَمر الرِمال وَتَنتشِي مِنْه الوُجود
والنَجم والفَلك المُحِيـ ط يَحوبُه الوَهج المَريد
وَبِضحكة صَفْراء يَزْ جِيها لكُم شَرَّه المَريد
سَخرَت مَرايَا العَصر مِنكُم، لَوعَلمتم يَاقُرُود"[1]

إلى جانب هذا فقد إستخدم بعض الألفاظ المستوحاة من الطبيعية مثل يزهر، يورق، ينمو ،حيث يقول الغماري في قصيدة " سفر في مسافة الشوق" من بحر المتقارب:

"وَيَزهر فِي دَمِي وَتْرى بِعَطرك يَا حَنين غَدِي
سَنَرفُض وَجه غُربَتنا سَترفُضه وَلا نَدم
وَيورِق لَفْظنَا ولْتسْقط الأَشْباح و النُظم"[2]

يشبه الغماري رفضه اللامتناهي بشجرة تورق حتى يبعد القهر، والظلم عن ذلك المجتمع الذي هضمت جميع حقوقه تلك النظم والقيادات اللامبالية، حيث يقول في قصيدة من بحر الطويل:

" وَما إلا غُصَة فِي حُلوقِهم
وَحَشْرَجَة الأقْدار فِي صَدر مُذنِب
ومَا أَنا إلا النَار تَشوي قُلوبهم
وَإلا الضُحى يَرمي بِأشلاء غَيهَب"[3]

جاءت الألفاظ هنا مناسبة للموضوع، فلفظةْ حشرجة قد أزيحت عن استعمالها العادي لتدل على تأنيب الضمير، فالشاعر في حالة توتر، ويظهر ذلك من خلال صرخاته في وجه أعداء الإسلام، متمسكا بموقفه اتجاههم ، فهو يوخز ضمائرهم فيجعلهم يحسون باللوم وتأنيب الضمير

الفصل الثاني الاغتراب في الشعر الغماري

،ويذكرهم بحقيقتهم المخزية، وارتدادهم، وانحرافهم عن الطريق المستقيم، فيعبر الشاعر عن ذلك بأنه حشرجة في صدورهم فهو هنا إنما يقصد وقوف الإسلام في وجه هؤلاء الأعداء ، ومن هنا فقد اتحدت ذات الشاعر بالموضوع.

في حين أن كلمة أشلاء فهي مفرد شلوا التي تعني عضو، ولفظة غيهب دالة على الظلام ،وباتحادهما في البيت " استيلاء غيهب " فهذا المعنى يتعدى المعنى المعروف لليل بالسوداء والظلام فقط ، بل الليل عند الغماري قد أصبح جسدا له أعضاء ، ولفظة ضحى تدل على قوة النور، واشتداد الضياء، ولفظة يرمي تدل على الطلاقة والحرية ، وبذلك فإن النور والضياء المتمثل في الضحى يرمي أعضاء هذا الجسد المتمثل في الليل فالضحى هنا هي العقيدة الإسلامية والغيهب هم أعداء الإسلام الحاقدين عليه.

---

(1) : مصطفى محمد الغماري: أسرار الغربة، ص:137-138.

(2): المصدر نفسه، ص: 97-98.

(3): المصدر نفسه، ص:31.

ب- <u>الأسلوب</u> :

من خلال الدراسة التحليلية لشعر الغماري، تبين لنا أن أسلوبه، ناتج عن تفرد الوسائل التعبيرية الجزئية كاللفظ والرؤية الفنية والفكرية.

ونجد الغماري زاوج بين النمط القديم للشعر المتمثل في القصيدة العمودية، وبين النمط الحديث المتمثل في الشعر الحر، فقد تفوق في الشعر العمودي لأنه يصدر عن طبع صاف ،وهو حسب رأي حسن فتح الباب:" يمتاز بالشراقة الديباجية، والنصاعة، ومتانة السبك،وما إليها من معايير نقادنا القدامى في تقويمهم للشعر"[1] .

كما أنه أدخل تقنيات حديثة على الشعر العمودي في الصياغة وتركيب الصورة لتجنب الوقوع في النمطية وترصيف الجمل، ورتابة الإيقاع، كما أن لغته أكثر تطورا وأقرب إلى الحداثة، كما تميزت قصائده التي نسجها على منوال الشعر الحديث بالتدفق، فهو يمزج بين ما اكتسبه من ثقافة قديمة ليوظفه في قصائده المتحررة.

تميز أسلوبه بانفعال حاد وهذا ناتج عن مزاجه، الثائر المتوتر القوي ، كما يؤكد هذا عمق معايشة الشاعر لقضاياه النفسية والفكرية ومن هذا يتبين لنا بأن علاقة الشاعر بأسلوبه هي علاقة متلاحمة.

---

[1] : حسن فتح الباب: شعر الشباب في الجزائر بين الواقع والآفاق، ص:209.

وقد تميز أسلوب الغماري بجملة من الخصائص من بينها:

- **<u>التكرار</u> :**

هو ظاهرة موسيقية بالدرجة الأولى، ويأخذ دلالة إيقاعية،فيعمل على سد الثغرات الناجمة عن اختفاء التفعيلة ، وقد يكون التكرار تعمدا من الشاعر لتأكد حالته الاغترابية المصحوبة بالإيقاع المأساوي والحزين، والتكرار الإيقاعي الذي يستعمله الشاعر له دلالته الصوتية النابعة من داخل الشاعر خصوصا في تلك اللحظات التي يحتدم فيه الصراع لينعكس على الإيقاع ويجعله مكثفا حيث يقول عز الدين إسماعيل في كتابه التفسير الفني للأدب: " وقد أدرك شعراؤنا المعاصرون أهمية التشكيل الموسيقي للقصيدة من حيث أثره القوي في تقديم صورة صادقة و مؤثرة لوجدانا تهم المختلفة فحاولوا أن يخرجوا من إطار التشكيل القديم للقصيدة إلى شكل جديد تكون فيه الصورة الموسيقية للقصيدة خاضعة خضوعا مباشرا للحالة النفسية
أو الشعورية التي يصدر عنها الشاعر، وبهذا تصبح القصيدة صورة موسيقية متكاملة ، تتلاقى فيها الأنغام وتغترق، محدثة نوعا من الإيقاع الكلي الذي يترك في نفس المتلقي أثره"[1]

فمن هنا لم يعد الشاعر ملزما بإشباع نمط معين، بل خرج عن البناء التناظري الذي كان يميز القصيدة القديمة ، ومن هنا دأب الشاعر المعاصر في البحث عن وسائل موسيقية يثري بها النص الشعري، وبالرغم من وجود ظاهرة التكرار في أشعار القدامى إلا أنها لم تظهر بشكل واضح إلا في عصرنا.

تقول نازك الملائكة :" وقد جاءت على أبناء هذا القرن فترة من الزمن، عدوا خلالها التكرار في بعض صوره لونا من ألوان التجديد في الشعر"[2]

---

[1] : عز الدين اسماعيل: التفسير النفسي للأدب، مكتبة غريب، ط4 ،(دت)، ص:52-53.

وهناك الكثير من الشعراء لجئوا إلى التكرار ومن بينهم نجد: السياب، محمود درويش، صلاح عبد الصبور...وغيرهم من الشعراء.

فمثلا نجد السياب يريد أن يؤكد شعوره الاغترابي، هذا الشعور الذي يأخذ أبعاد كثيرة يأخذ بعد الموت، وتارة الرفض والاستسلام تارة أخرى، فزمن الاغتراب واحد ولكنه يحركه في أشكال عدة فيقول:

" وَيَهطُل المَطر
وكُل عام ،حِين يَعشُب الثَرى بجُوع
مَا مَرَّ عام، والعراق لَيس فيه جُوع
مَطر...
مَطر...
مَطر..." (1)

كرر الشاعر هنا لفظة "مطر" وهي صرخة نابعة من ذات الشاعر المغتربة.

وقد ترددت في قصائد الغماري ألفاظ مألوفة متداولة في الشعر الفنائي مثل:الهوى،الحب ،العاشقون، الرياح، الأشواق، اللحون، الوضاء... وبنفس المعاني المعروفة مما يجعل صدر القصائد نوعا من التكرار والإجترار الذي لا يثري القصائد من الناحية الفنية، فقصيدة " سفر في مسافر الشوق " تكاد تكون نسخة مطابقة لقصيدة " مسافر في شوق" فالاختلاف فقط في الشكل والقالب حيث جاءت الأولى على النسق الحديث للشعر، أما الثانية فهي على النسق القديم،وهذا راجع لكون القصيدتين لا يفصل بين كتابتهما سوى شهر واحد ، مما أدى إلى تكرار الألفاظ والعبارات والصور، حيث نجد التكرار في قوله من بحر الطويل :

" بِحَجْم المُعَاناة يَرسُم عِيده
تَغِيم، تَغَيُم الدُرُوب وتَصحُو
وَيزْهَر في الحَدقَات النَهار
بِسيف المُعانات يَكبر الجُرح
وَينطَلق السَفر الإنْتظَار"(2)

فقد وردت عبارة " حجم المعاناة " وتلتها في الأبيات الموالية عبارة "سيف المعاناة " ،في حين كان من السهل على الغماري أن يتخلص من هذا التكرار لأنه يتمتع بقدرة لغوية وتعبيرية كبيرة.

الفصل الثاني الاغتراب في الشعر الغماري

(2) : نازك الملائكة، قضايا الشعر المعاصر، دار العلم للملايين، بيروت،ط6 ،1981، ص:263.

(1) : ديوان بدر شاكر السياب، دار العودة، بيروت، د ط، ص:479.

(2) : مصطفى محمد الغماري: أسرار الغربة، ص:69.

وقد تكـررت أيضا لفظة دروب " وتغيم " في هذه القصيدة ، فقد قال حسن فتح الباب بشأن تكرار الكلمة كلمة " المعاناة "،" لا شك أن هذه الكلمة قد تسربت غير مرة دون وعي من الشاعر لشدة حاجته إلى البوح بها، كما أنه لم يصقل القصيدة بعد نظمها ليتخلص من الحشو.

لكن رغم هذا التكرار فإن المقطوعة جميلة من الناحية الفنية، حيث يقول عبد الحميد هيمة: "إن التكرار فضلا عن دلالته النفسية يحمـل دلالات فنيـة تكمن في تحقيـق النغمية، والخفـة في الأسلوب، مما يضفي على النص قدرة أكبر في التأثير على المتلقي"[1]

- **التشخيص والتجسيد:**

يعتبر هذا العامل ذا أهميـة أكيـدة وكبيرة في إبراز المعاني ، خاصة وأن الشاعر يتوغل في بعد فني جديد، بمعنى أنه يستطيع نسج العلاقة بين عباراته الشعرية، كما يعود أيضا إلى قوة الخيـال العلمـي اليقـظ والذي يلعب دورا فعالا في البنـاء الداخلي للقصيدة إذ يقول الغماري في قصيدة "هيلانا "من بحر الهزج:

" يَلوك الحُزن أَشواقي... يَئن اليَأس والضَجر"[2]

هنا قد أضفى الغماري صفة إنسانية على الحـزن، حيث جعله يلـوك أشواقه أي يمضغها ،وقد قصد الغماري من هذا المعنى ، تلك الصعوبات والعراقيل التي يقف في وجهه، كما جعـل اليأس يئن في حين أن الأنيـن هو الصوت الذي يصدر عن المريض ، كما يقول في هذا الصدد أيضا في قصيدة من بجر الوافر:

" وَتُثبت غُـربة وَحْشـية تَغتـال أَنسامي"[3]

هنا قد جعل الغربة شيئا محسوسا بأن جعلها تنمو كالنبات ليغتال أنسامه.

- **التقابـل والتضـاد:**

أول ظاهرة تقابلنا في المتـن الشعري الجزائري المعاصر ، هي أسلـوب التقابل والتضاد بحيث يكون الأثـر النفسي لأحد طرفي الصورة مناقضا لأثـر الطرف الآخـر، وهذا التناقض من أهـم العناصر المولـدة لديناميكية الصـورة والقصيدة التي تصبـح أداة لتجسيد الصراع والتعارض بين القوى البشرية ومصالحها في الواقع.

ولو تتبعنا شعـر الغماري لوجدنا أن أسلوبه قد خصص بأسلوبي التقابل والتضاد، إذ يقول في قصيدة " هيلانا " من بحر المتقارب:

" يُحَــاول غَـيرِي السَفَـر
يُحاول أَن يَسكُن البَرَّ و البَـحْر

---

(1) : عبد الحميد هيمة: الصورة الفنية في الشعر الجزائري، شعر التسعينات نموذجا، ص:56.

(2) : مصطفى محمد الغماري: أسرار الغربة، ص:119.

(3) : المصدر نفسه: ص:135.

عَينَــاك بَـري و بَـحْري
وعَـينَاك ذَاكِرة المَــوْج
مَـلحَمــة الـرَمْـل"[1]

فالتضاد يظهر في قوله (البـر والبحر)، (ذاكرة الموج، ملحمة الرمل) فالتضاد والتقابل كما يقول عبد الحميد هيمة: " ناتج عن ولوع الشاعر بالتنافر بين عناصر الصورة"[2]

وكما قلنا سالفا فإن التقابل و التضاد من خصائص أسلوب الشاعر حيث يقول من بحر الهزج:

" يَلُوكُ الحُزْن أشْواقي ... يَئنُ اليَأس و الضَجَر
يَطْرحُنـي كَمَا الآمال فِي جُنبِـي ... تَنتَحِـر
فَيُدمِيهــا اللَهِيب المُرَّ ... يُدمِيها ... فَتنتَثر"[3]

هناك تقابل بين (الآمال والأشواق) و(اليأس والحزن)،كما أن هناك تقابل بين(الحزن واليأس) و(الشاعر وأشواقه) فالحـزن يلوك الشاعر واليـأس يسيطر على أشواقه فالمعنى الأصل لكلمة يلوك هي يمضغ والشيء الذي هو الأكل ، ولكن الغماري طورها وأصبحت تقال أو نقصد بها معنى آخر ... فلو قلنا تلوكه الألسن هذا يعني أننا قصدنا أنا الناس قد نالوا من عرضه وشرفه ولكن الشاعر قد أضفى عليها روحا جديدا تلك مزيـة من مزايا الشاعر القديـر في كل زمـان ومكان.

يقول الغماري أيضا في قصيدة من بحر الطويل:

" وَمَــا أَنا إلاَّ النَار تَشْوِي قُلوبُهم
وَإلاَّ الضُحى يَرمِي بِأشلاَء غَيْهَب"[1]

فالشاعر هنا قد شبه نفسه بالنار التي ستشوي قلوب أعدائه ، فقد قابل هنا بين قوتين، القوة المسيطرة المتمثلة في الشاعر(النار) ، والقوة المسيطر عليها التي هي أعداؤه (تشوي قلوبهم) وبالتالي فقد قابل بين الإسلام والضلال.

ومن خـلال خصائص أسلـوب الغماري التي استعرضناها تظهـر لنا جليا قـدرة الشاعر على وضـع الصورة النفسيـة، والتعبير عما يختلج في نفسه من عواطف مشاعـر، لأنه يملك إمكانيات فنية وخبرة كبيرة في التعامل مع الألفاظ والرموز ، حيث يرى أبو القاسم سعد الله أن: " لغته تتميز بالحيوية، وأسلوبه بالتدفق وصوره الشعرية بالثقافية"[2]

ج- الرمــز :

يعرف الرمز في الأدب بأنه المفردة أو العبارة التي تحمل دلالات مشتركة في ذهنية جمعية ما، ويختزل كم من المعاني الدلاليـة العميقـة ليعبر عن تجربة شعورية، يتولى الرمـز التعبير عن ما أرادت البوح به بكل دقـة وقـوة إتصال مع المتلقي، والرمز يعتمد على مصادر عـدة كالتاريخ والتـراث والديـن والأسطورة .

وقد أكثر الغماري من استعمال الرمـز، فقد وظـف الرمز الديني، الرمز التراثي ، الرمز الأسطوري والرمز الصوفي ... وذلك لما تحملـه هذه الرمـوز من طاقـات إيحائية، وكثافات

---

(1) : مصطفى محمد الغماري: أسرار الغربة، ص:119.
(2) : عبد الحميد هيمة: البنيات الأسلوبية في الشعر الجزائري المعاصر، ص:14.
(3) : مصطفى محمد الغماري: أسرار الغربة، ص:13.
(1) : مصطفى محمد الغماري: أسرار الغربة، ص:121.
(2) : أبو القاسم سعد الله: تجارب في الأدب والرحلة، ص:150.

دلالية، إذن فالرمز ينقلنا بعيدا عن حدود القصيدة و نصها المباشر، واستخدامه يثري تجارب الشعراء بالخصوبة والتنوع، يقول عبد الحميد هيمة: " إن الرمز ينبثق من المجاز اللغوي نفسه ،جبن يضغط الشاعر على بعض الألفاظ في القصيدة ضغطا مركزا يتجاوز كثيرا حد الإشارة إلى المعنى العام القريب و المألوف بحيث يوقظ في النفس معانيه التي لا بست ميلاده لأول مرة ،واقترنت بالتفكير الأسطوري الديني لمخترع اللغة القديم الذي يرى في كل شيء روحا مؤثرة فاعلة تتحرك وترتبط بقوى الخير والشر"[3]

فقد اهتم الغماري باستخدام الرمز لما يملكه من قدرة على الإيحاء، فهو ينقل الألفاظ من استعمالاتها السطحية البسيطة المألوفة إلى مجالات دلالية عميقة، وفي ذلك يقول محمد ناصر:" إن تفضيل الغماري للتعبير الرمزي وإيغاله فيه أحيانا جعل الصورة الشعرية عنده تعتمد هي الأخرى على الرمز أساسا ، والرمز كما هو معروف يؤدي إلى الحيلولة التي توحد بين الأشياء وتنزع عنها حدود المنطق، ويعتبر الرمز من أصفى الأساليب الشعرية وأرقاها، لأن الشاعر من خلال الشعر الرمزي ينكر المظهر المعاني للشيء، ويعبر منه إلى التأويل والتلميح" [1].

استخدم الغماري رمز ليلى في كثير من قصائده من بينها قصيدة : " بين قيس وليلى" من بحر البسيط:

" قَيس: بَين وبَينَك ... لَيلَى في الهَوَى نَسب
فَأَنْت وَجْهِي ... وأَنْت الوَرد و العِنَب"[2]

فليلى هي العقيدة الإسلامية، أما قيس فهو الشاعر مصطفى محمد الغماري، إلى جانب ذلك فإنه يرمز عن طريق الألوان إلى دلالات أخرى، فيرمز بالأخضر إلى الخصب و يرمز، للشر والفساد باللون الأسود والأحمر والزرق، كما استخدم لفظ " سفر " للدلالة على الغربة ، والضياع ،والتشرق إلى عالم أحسن، يقول الغماري من بحر السريع:

" أُسَـافر فِيك يا سَفـرِي وَيـا هَمِي ... ويَا أَلمِي
وَأوغَـل فِيك أَحمِل قِصَتي الخَضْـراء مِلءَ دَمـي"[3]

فسفر الغماري لا يعني به الرحلة الحقيقة أو السفر بمعناه المادي ، إنما يعني به تلك الغربة التي يعيشها جراء ما يعانيه من واقع مجتمعه، كما نقل في كثير من الأحيان الألفاظ من مجالها التجريدي إلى مجال حسي والعكس، كما جسم المجردات في قوله:

" عَلى شَفتَي تَشْرئب عَناقِيد ضَوئِي تَنْسل أَشْباحُه
أَرَاك فَتشْرَق في كُلَّ دَرب وُرُود وَتفضَل أَعْماقه"[4]

الفصل الثاني الاغتراب في الشعر الغماري

---

[3] : عبد الحميد هيمة: البينات الأسلوبية في الشعر الجزائري المعاصر، ص:71.

[1] : محمد ناصر: الشعر الجزائري الحديث إتجاهاته وخصائصه الفنية،ط1، دار الغرب الإسلامي،بيروت، لبنان،1985 ، ص:27.

[2] : مصطفى محمد الغماري: أسرار الغربة، ص:23.

[3] : المصدر نفسه،ص:97.

[4] : المصدر نفسه،ص: 78.

وقد إستخدم " عناقيد ضوئي " للدلالة على شعور النفس المتمثل في الأمل والفرحة لمجرد التفكير في عودة العقيدة الإسلامية للمجتمع الإسلامي ، ومن بين الرموز التي إستخدمها الغماري في شعره.

* **الرمز الديني:**

إن الرموز المستمدة من القرآن الكريم تطغى على شعر الغماري، وهذا راجع لتأثره بالقرآن الكريم، حيث يستخدم هذه الرموز ليعبر عن الحاضر إذ يقول في قصيدة " مأواك في الغاب" من بحر بسيط:

" يَمْتَصُنا الحِقد قَابِيل عَلى يَـده دَم لِهَابيل جَلَّ الجُرْح أَحْزَانـا
سَل المُرُوءَات مَن بَاعُوا مَن ذَبحُوا بِالأمْس تَاريخَنا أضحُوا نَدْمَانا"[1]

فقد شابه الغماري بين الحاضر والماضي ، فوظف رمز قابيل الذي أعماه الطمع والأنانية فقتل أخاه هابيل ، دون التفكير في العواقب ليدل به على الطمع والحقد المتفشيان بين الإخوة العرب في الحاضر، فحضور في هذه القصيدة كاف لشرح الوضعية الحالية التي آلت إليها المجتمعات الإسلامية.

* **الرمز الصوفي:**

وظف الغماري الرمز الصوفي بكثرة في قصائده وهو ليس بالضرورة يجب أن يكون رهبانيا، ولا رهبانية في الإسلام، يقول عمر بوقرورة:" الرموز الصوفية هي التي تعبر على حالة متقدمة من حالات الإغتراب حيث يسمو الشاعر من خلالها عن الواقع المادي ليعتنق عالم الروح"[2]

واستخدم الغماري رمز المرأة التي غالبا ما تتمثل في " ليلى"، كما استخدم رمز الخمر ،إذ يقول في قصيدة من بحر البسيط:

قيس :**" بَينِي وَبينَك ... لَيلى فِي الهَوى نسَب**
فَأنْت وجْهي ... وأَنْت الوَرد وَ العِنَب
أَنْت الخَوَاطِر... إن ذَكرْت أُغْنيتِي
إذا تَرنَمْت... أنْت الشِعر والغَضَب"[3]

الفصل الثاني الاغتراب في الشعر الغماري

فليلى عند الغماري هي العقيدة الإسلامية، التي أصبحت مغيبة في وطنها، وبين أبنائها، بحيث أصبحت في مرتبة القداسة فالإسلام لا يمنع التصوف ولا يوجبه، لأنه إذا كان صوفيا فإنما يلبي ملكة نفسية طبيعية " فطرة الله التي فطر الناس عليها "والذي لا يكون صادقا مع نفسه ونوازعها فلا حاجة للأدب والنقد به.

أما عن رمز الخمرة فقد نتج عن شدتي حنين الغماري لليلاه أي العقيدة الإسلامية، حيث يقول من بحر الخفيف:

" قَـدَر شَاء ... فَاسْكُري يَا دُروبِي
خَمْـرة الـوَصل تَزرَع الله فِيا
قَـدَر شَاء أن يَـرُود صُمودِي
آيَـة الله ... حَـرْفها الأَبَديا"[1]

---

(1) : مصطفى محمد الغماري: أسرار الغربة، ص:101.

(2) : عمر بوقرورة: الإغتراب في الشعر الإسلامي المغاربي المعاصر، ص:513.

(3) : مصطفى محمد الغماري: أسرار الغربة، ص:23.

(1) : مصطفى محمد الغماري: أسرار الغربة، ص:74.

فالغماري يسكر من شـدة حبه ليلى ويسكر لأنه يجد راحته في التعامل مع المظاهر الغيبية لا المظاهر الحسية، فيتسامى عن هذا العالم المزيف المليء بالمتناقضات إلى عالم آخر تكون فيه للعقيدة الإسلامية مكانتها التي تستحقها ، كما انه يستخدم رمز ليلى ليعبر عن شدة هيامه بالجمال الإلهي.

* **الرمز الأسطوري:**

إنّ اللجوء إلى الأسطورة في الفكر العربي المعاصر هو استحضار للبطولة الغائبة، وحنين لها، وتوق لزمن نظيف، وتاريخ غير ملوّث بالطغاة والظَلَمَة. وعندما نستدعي البطل الأسطوري والتاريخي عبر زمن القصيدة وشفافيتها، فإنّ توقاً شديداً يدفعنا لتقمّص هذا البطل، وتمثُّل حالاته ،باعتباره المفدي والمخلّص والشعلة التي تنير طريقاً مظلماً.

والأسطورة هي المصدر الأغنى لأنها تعتمد في تكوينها على مصادر عدة كالتاريخ والتراث والدين، فهي تعتمد على الرمز لتكشف مدلولاتها ، ومع الرمز تتعدى قيمة الأسطورة عن المعنى الذي عرفناه دائماً في كونها مجرد خرافـة تاريخية

فالأسطورة تعبر عن نظام رمزي ثقافي يماثل النظام الرمزي اللغوي كلاهما يبحث عن التواصل والاستمرارية، فالأساطير لا تعرف الفنـاء أو الموت فهي حية تنفذ في نصوص الإنسان بآلـة الرمز.

الفصل الثاني الاغتراب في الشعر الغماري

ولهذا نجـد استخدام الرموز الأسطورية في شعر الرواد كانت قضية تستحق البحـث لأنها ظاهرة مهمة من ظواهر هذا الشعر لما فيها من دلالات خاصة حاول الشعراء من خلالها تفجير الدلالـة المطلوبة في إطار السياق الشعري ليؤكدوا الأحاسيس والمعاني والأفكار التي يحملونها في جنباتهم من خـلال المواءمة بين الرمـز والسيـاق الفنـي بمعنى توظيف الشاعر لرمـزه الأسطوري انسجاما مع السيـاق الفنـي لقصيدته، ولولا ذلك لتحولت القصيدة إلى ترقيـع غير متجانس فنيا.

ولقد تفاوت الشعراء الرواد في أساليب استخدامهم للرموز الأسطورية فمنهم من ذكر شخصية من شخصيات الأسطورة ومنهم من اتكأ على معناها العامدون أن يذكرها ومنهم من ذكرها وأفاد من مغزاها العـام، كل حسب قناعاته ودوافعه وذلك لما في الأساطير من طاقـة رمزية تمنـح الشاعر مجـالا للتعبير ليفصح عن أفكـاره على نحو فني يبعد القصيدة عن المباشرة والسطحية من جهة وينأى بالشاعر أحيانا أن يكون عرضة للأذى والملاحقة ،وهذا يشير إلى أن للظروف السياسية والاجتماعية دورا في هز كيان الشاعر أمام هذا القلق الحضاري وتبدل القيم والعلاقات الإنسانية.

وقبل أن يكون توظيف الأسطورة في النص الشعري العربي المعاصر عـودةً إلى التـراث والميثولوجيا، فإنه رؤيـة تستمدّ مكوّناتها من الواقـع، واتجاهات هذا الواقـع ورؤاه، فالتاريخ والميثولوجيا والواقع كلها مكوّنات للفكـر الأسطوري، فالواقع العربي اليـوم بتعقيده وغرائبيته ،وسوداوية علاقاته ومؤسساته لهوَ أغـرب من الأسطورة، إنه الخرافـة عينها التي تفـوق حدّ التخيّل والوصف، وما من شاعر عربي مبدع إلاّ وعانى من اغتيال هذا الواقع لأحلامه و فرحه ،وحرية قصيدته، فكان اللجوء إلى الأسطورة رفضاً لهذا الواقـع، وبالتالي كان استخدام الرمـز الأسطوري المكثّـف الدلالة، البعيد الإيحـاء ، هرباً وخوفاً من سلطة هذا الواقع، لكي لا يثيـر الشاعر ظنون سلطة الرقابة وريبتها.

يكثر استخدام الأسطورة في شعرنا المعاصر خاصة في تجارب الثمانينات ولعل ذلك راجع إلى عجـز اللغـة التقليديـة عن أداء وظيفتها التوصيلية، وقصورها في الكثيـر من الأحيـان عن التعبير عن تطلعات الفنان الفكرية والفنية التي لا تقف عند حد ما.

وبهذا فقد ارتبط الشعر المعاصر إرتباطا وثيقا بالأسطورة إذ يرى شليغل أن :" الأسطورة والشعر شيء واحد لا انفصال بينهما"[1]

ورغم استخدام الغماري للرمز الأسطوري إلا أنه تعامل معه في حدود إسلاميته، فقد وظف رمز" هيلانا " وهي أسطورة باكيستانية إسلامية في قوله من بحر البسيط:

" بَعِيد عَنْك هِيلاَنــا ... فَلا نَاي ولاَ وَتَر
ولاَ أَمَل يَبْرعم فِيه يَزهُو ... يَحلُم الزَهر"[1]

فهيلانا ترمز للقوة الذاتيـة التي تكمن في العقيـدة الإسلامية تعبيـرا عن مواجهتها لكل التحديات، إذن فهيلانا هي العقيدة الإسلامية المتحدية الرافضة لكل ظلم وقهر.

د- الصورة الشعرية:

لم يقتصر تجلي ظاهرة الاغتراب على مستوى اللغـة المفـردة، بل تعداها إلى الصـورة المرتبط بنفسية الشاعر، فالصورة تحمل اصـدق ما يشعر به الشاعـر من اغتراب، وإبـداع في الوقت نفسه ، فهي تحمـل في مضمونها أشياء خفية عن الواقـع، بل إنهـا الوسيلة الوحيدة لتصويره وتفسير خلفياته المضادة له بعدما عجز المنطق على تفسيرها.

إن الصورة هي الملجأ الوحيد لدى الشاعر، يستطيع من خلالها أن يمزج بين الواقع والحلم ،بين الفكرة والصورة، وهذا يعني ابتعاد الشاعر عن حقيقة واقعـه، وإنما يوحي فـي شعـره بالحقيقة التي لا مفر منها، ومنها نتساءل كيف جسدت الصور الشعرية للاغتراب عند الغماري.

يقول يحياوي الطاهر: " إذن انطلقنا من مفهوم أن الوسائل الفنية هي وسائل مجندة من أجل غاية هادفة في العمل الشعري...فإن القصيدة الشعرية هي تعبير عن موقف نفسي عام أو خاص بالنسبة للشاعر، فإن تنافرت الصـور مع بقية الصور أو بقيت الدلالات الفنية كان ذلك مدعـاة للإخلال بوحدة العمل الشعري ..."[2]

فهنا هو يخل بوحـدة الخيال والشعور والتفكير ويؤدي ذلك إلى تداخـل أجـزاء العمل الفنـي واضطرابها بصفة جامعة.

الفصل الثاني الاغتراب في الشعر الغماري

والغماري استخدم الصورة الشعرية في أشعاره من أجل أن يعبر بها عن أفكاره تعبيرا غير مباشر في الإيحـاء والتصوير ، وهذا ما يزيد الشعر قـوة، فالصورة الغمارية هي تمثيل هادف وواضح يتجه نحو غاية بذاتها لا يحيدها فهي ليست زخرفة فنيـة فحسب بل حاسة فنيـة بارعة تكشف الدلالات وتوحد الإشارات ببراعة تامة إذ يقول الغماري في قصيدة من بحر البسيط:

---

[1] : عبد الحميد هيمة: البنيات الأسلوبية في الشعر الجزائري المعاصر، ص:81.

[1] : مصطفى محمد الغماري: أسرار الغربة، ص:13.

[2] : يحياوي الطاهر: البعد الفني والفكري عند الشاعر مصطفى محمد الغماري، ص:91.

" بَعيد عَنك رَاحِلتي تَجُوب اللَيل و السَفرَا
تَآكل خَطوَها في الغُربةِ السَوْداء واندَثرا
بَعيدُ عَنك لا نَايا فَيُسعِدني وَلاَ وَتَرا"[1]

والغماري يصور الغربة و يكثف هذا المعنى بألفاظ تدل على السواد والظلام واليأس ،فالألفاظ اجتمعت في كل متكامل يتغلغل إلى نفوسنا فنشارك الشاعر إحساسه وعاطفته وتتضح لنا صورة شاعر مغترب يعاني مرارة الواقع، ويجاهد للوصول إلى مجتمع إسلامي ويقول أيضا في قصيدة من بحر متقارب:

" أنَا فِيك يَا بِنت السَماء مُسَافر وَتري وَفِكري
مُتوْثب فِي الدَرب إعْصارا عَلى أَشلاءِ دَهري
فِي ظِلك القُدُسي لَمْلَمت الرُؤى وهَتَكت سِرَّي
وَعَلى حَنايَاك اخِضرارُ شَبَّ فِيه لَهيب عُمرِي"[2]

الصورة هنا مبنية على المجاز، فسفر الشاعر ليس سفرا حقيقيا ماديا بل معنويا، وبنت السماء كناية عن العقيدة الإسلامية، وتقوم الألفاظ الأخرى باستكمال الصورة المتمثلة في السفر ،فالوتر والفكر يدلان على الرحلة،وهذه الرحلة مختلفة عن رحلات الشاعر السابقة لأنه قد وصل إلى نهايتها واستظل بالظل القدسي، ووصل إلى مراده، ولا يمكن فهم هذه الصورة إلا بالتفاعل مع عاطفة الشاعر لأنه يبني صوره على أساسها، لأنه يرحل إلى الله وإلى العقيدة الإسلامية المغيبة عن المجتمع، فيقول في قصيدة من بحر الهزج:

" حِينمَا يَسلُبني اللَيل عَلى الأبْعاد زَفرَة
يُوغِل الصَمت ويَهتدُ عَلى الأعْماقِ صَخْرة
وَتُنَاجِيني جِراح فِي الرِياح السُود حَسْده
وَيحْجُز الألَم المَجنُون فِي الأَوْتارِ شَفْرة"[3]

فالصورة في هذه المقطوعة مليئة بالإيحاءات التي تعبر عن ذلك الألم الحاد الذي يعانيه الشاعر، ويمكن آن نستشف ذلك من خلال العبارة التالية:" يصلبني الليل على الأبعاد زفرة " هذه العبارة توحي بالوحشة والألم في ليل طويل لا ينتهي يصير فيه الشاعر مجرد زفرة.

والملاحظ أن الغماري يلجأ عادة إلى الإستعارة من أجل تحقيق صوره الشعرية، كما يعتمد في بناء صوره على الرمز الذي يعتمد على التأويل والتلميح دون التصريح، فالصورة عند الغماري أصبحت هي الفكرة، وهي الموقف،لأنه يشحنها بطاقات عاطفية نابعة من أعماق نفسه.

---

(1) : مصطفى محمد الغماري: أسرار الغربة، ص:13.

(2) : المصدر نفسه، ص:149.

(3) : المصدر نفسه، ص:28.

في هذا الفصل تناولنا **الاغتراب في شعر مصطفى محمد الغماري** الذي جاء ليركز على صميم البحث وذلك بالتطرق إلى الجانب التطبيقي بالدراسة والتحليل، وأخذنا ديوان **" أسرار الغربة"** نموذجا.

تناولنا **حياة الشاعر** و**نتاجه الشعري**، ثم إلى أهم **مظاهر الاغتراب في شعره** متمثلة في:
الثورة على الواقع، الذي دعا من خلالها إلى تغيير مسار حياة المسلمين بالرجوع إلى الإسلام ،وذلك منذ أن بدأت بعض الأفكار الغربية تتسلل إلى المجتمعات العربية.
ثم **الهروب من الواقع**، الذي يعد نوعا من الرفض للواقع والثورة عليه ، وهذا ناتج عن حجم الظلال والفساد الطاغيين والمتفشيان في البلاد العربية.
وأيضا إلى **التشاؤم والحزن**، الذي صور من خلاله مجتمعا وواقعا مليء بالتناقضات ،والظلم والقهر وكل أنواع الانحراف.

كما تطرقنا إلى **أثر الاغتراب في لغة الغماري الشعرية** من خلال: **الألفاظ والعبارات** (فهي ضرورية لدى الشاعر للتعبير عن تجربته، لأن مأساة الاغتراب عنده عبّرت عنها اللغة فصورت غربته بكل ما تحملها من معاناة وآلام)، وإلى **الأسلوب** الذي تناولنا فيه:(التكرار ،التشخيص والتجسيد، التقابل والتضاد)،وكذا إلى **الرمز** من خلال:(الرمز الديني، الرمز الصوفي ،الرمز الأسطوري)، وأخيرا **الصورة الشعرية** (التي ارتبطت بنفسية الشاعر، لأن الصورة تحمل أصدق ما يشعر به الشاعر من اغتراب وإبداع في الوقت نفسه).

خاتمـة :

وبهذا العـرض المتواضع الذي تعرضنا من خلاله لموضوع الاغتراب في شعر مصطفى محمد الغماري والذي حاولنا أن نلم ببعض جوانبه وأن نعطي لمحة بسيطة موجزة عن تطـور مفهوم ذلك المصطلح، وتعرضنا لبداية ظهوره منذ العصر الجاهلي إلى العصر الحالي إلى أن:

1- مفهـوم الإغتراب لا يقف عند البعد والنزوح عن الوطـن، وإنما يتعـداه إلى أبعد من ذلك ،بحيث يتطور إلى انفصال الذات عن المجتمع وعن الأفراد لتكون المأساة أكثر. الغماري

2- رجل ثائر، ساخط ومتمرد يعاني مـرارة الإغتراب وكأن الإبـداع يرتبط دومـا بالمعانات، فأتت أشعاره صادقة لما يختلج في نفسه، فنجده يتحسر ويكفر بالظـلام والقهـر والظلم المنتشر في وطنه.

3- التجديدات التي أتى بها في البنـاء الفني لنصوصيه الأدبية جسدت ذلك الإبتعاد والإغتراب عن الناس والمجتمع.

4- الوحـدة والغربـة والحنين إلى الوطن والفشل في الحب والكآبة والحيرة والحزن و التشائم ،كل ذلك عمق إحساسه بالإغتراب.

5- إن ما يعيشـه الشاعر من إغتراب داخـل الوطـن أو خارجـه تمكنت الصـورة الشعرية من تجسيده، بحيث نقلت الصورة الحقيقية للإغتراب الذي يعيشه الشاعر.

وفي الأخيـر نشيـر إلى أن بحثنـا هذا ما هو إلاّ نقطة في بحـر، وإلى إمكانية التوسـع في هذا المجال، ونرجو أن نكون قد وفقنـا في هذا البحـت، ومن الله التوفيق.

قائمـة
المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

المصـادر:

1- إبن منظور: لسان العرب المحيط،(د ط)، دار الجيل، بيروت، ج1988،4.
2- أبو الطيب المتنبي: ديوان أبو الطيب المتنبي، دار الجيل، القاهرة،د ط،2005.
3- أدونيس: علي أحمد سعيد، ديوان الشعر العربي، دار الفكر للنشر، بيروت،ط2 ،1986.
4- الجاحظ، الحيوان، (د ط)، دار الجيل، بيروت،ج1965،2.
5- امريء القيس: ديوان امريء القيس، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت،د ط،1986.
6- النابغة الذيباني: ديوان النابغة الذيباني، تحقيق محمد الطاهر بن عائشر، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر،دط ،1976.
7- إيليا ابو ماضي، ديوان إيليا ابو ماضي، تنقيح جورج شكور، دارالفكر اللبناني، بيروت ،ط2004،1.
8- جميل بثينة، جميل عبد الله، ديوان جميل شاعر الحب العذري،تحقيق،حسن نضار،مكتبة مصر،ط2 ،1967.
9- خليل الحر، المعجم العربي الحديث لاروس (د ط)، مكتبة لاروس، باريس1987.
10- ديوان الملتمس،الضبي،ابراهيم عيود ياسين، السامرائي،الحوار،بغداد،مج2، 1973.
11- ديوان بدر شاكر السياب، دار العودة ، بيروت ،د ط،1971.

12- عبد المعطي الحجازي، ديوان عبد المعطي الحجازي،دار العودة بيروت،دط،2001.
13- علي محمد طه، ديوان علي محمد طه،شرح تحقيق محمد نبيل طريقي،دار الفكرالعربي ،بيروت،ط2001،1.
14- عمر بن أبي ربيعة، ديوان عمر بن أبي ربيعة، بشرح يوسف شكري فرحات،دارالجيل ،بيروت،دط، 1986.
15- عنترة بن شداد، ديوان عنترة ، دار بيروت، للطباعة والنشر، بيروت،د ط،1984.
16- محب الدين فيض السيد مرتضي الحسيني الواسطي الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ج2،(د ط)،1994.
17- محب الدين يعقوب الفيروز أبادي: القاموس المحيط(د ط)،دارالجيل بيروت،(د ت)،ج1.
18- محمد درويش، ديوان محمد درويش، دار العودة ، بيروت ،د ط ،1994.
19- مصطفى محمد الغماري: أسرار الغربة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر،ط2، 1982.

20- مصطفى محمد الغماري: قراءة في أية السيف، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، مطبعة أحمد زبانة، الجزائر، د ط ،1983.

المراجـع:

21- أبو القاسم سعد الله، تجارب في الأدب العربي والرحلة (د ط)، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر،1983.
22- إبن الشجري: الحماسة، مطبعة مجلس دائرة المعارق العثمانية، حيدر أباد،دط ،1345ه.
23- إحسان عباس:اتجاهات الشعر العربي المعاصر، قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية،دار العودة، بيروت،ط1981،3.
24- الطاهر يحياوي: البعد الفنـي والفكري عند الشاعر مصطفى محمد الغماري،(د ط)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1983.
25- أمين صالح، محمود العمصي، الغربـة والحنيـن في شعر فلسطين، منشورات جامعة قار يونس،بن غازي،ط1995،1.
26- إيليا الحاوي: في النقد والأدب، ط5، دار الكتاب اللبناني، بيروت،1986.
27- حسن فتح الباب: شعر الشباب في الجزائر بين الواقع والآفاق(د ط)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1987.
28- خليل شرف الدين: ابن الروحي، الموسوعة الأدبية الميسرة،منشورات دارالمكتبة الهلال ،بيروت،دط1، 1996.
29- شوقي ضيف: تاريـخ الأدب العربـي، العصر الإسلامي، ط7 ،دار المعارف، القاهرة ،ج1976،2.
30- شوقي ضيف: تاريـخ الأدب العربـي، العصر الجاهلي، ط8، دار المعـارف، القاهرة ،ج1977،1.
31- عبد الحميد هيمة: البنيات الأسلوبية في الشعر الجزائري المعاصر، شعر الشباب نموذجا ،ط1، مطبعة هومة، الجزائر،1998.
32- عبد الله التطاوي: مقدمات في تاريخ أدبنا القديم ونصوص شعرية ونثرية(د ط)،دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة،(د ت).
33- عبد الله الركيبي، الشعر في زمن الحرية، دراسة أدبية ونقدية(د ط)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر1994.
34- عبد العزيز المقالح، الشعر بين الرؤيا والتشكيل، دار العودة، بيروت.

35- عز الدين إسماعيل، التفسير النفسي للأدب، مكتبة غريب، ط4 (د ت).
36- عيسى حماد عبد العزيز: صراع الإنسان ضد وحش الصحراء عند أصحاب المعلقات ،الجزائر،1990.
37- فاطمة حميد السويدي ،الإغتراب والشعر الأموي، مكتبة مدبولي، القاهرة،ط1997،1.
38- فاطمة طحّطح، الغربة والحنين في الشعر الأندلسي، منشورات كلية الأداب والعلوم الإنسانية، الرباط،ط1993،1.
39- مجاهد عبد المنعم مجاهد، الإنسان والإغتراب، سعد الدين، للطباعة والنشر، القاهرة ،ط1985،1.
40- محمود راجب، الإغتراب سيرة المصطلح ،دار المعرف، ط1986،2.
41- محمد أبي الفضل إبراهيم: ديوان امرؤ القيس،ج1، المعارف،1969.
42- محمد مصطفى هدارة: دراسات في الأدب العربي الحديث، ط1 ، دار العلوم العربية ، بيروت،1990.
43- محمد ناصر: الشعر الجزائري الحديث، إتجاهاته وخصائصه الفنية، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت،1985.
44- نازك الملائكة: قضايا الشعر المعاصر، دار العلم للملايين، ط6، بيروت،1981.
45- نصر حامد أبو زيد: إشكالية القراءة والتأويل، ط2، المركز الثقافي العربي، بيروت ،1992.
46- ناصف أبو الشباب: القديم والجديد في الشعر العربي الحديث(د ط)، دار النهضة العربية للنشر، بيروت،1988.

الرسائل والأطروحات:

47- جازية كرام: الإغتراب العمالي في منشأة صناعية جزائرية عوامله ونتائجه، جامعة الجزائر،1988.
48- عبد الحميد هيمة: الصورة الفنية في الشعر الجزائري المعاصر، شعر السبعينات نموذجا، جامعة قسنطينة،1995.
49- عمر بوقرورة الإغتراب في الشعر الإسلامي المغاربي المعاصر،(1960-1990) ،جامعة قسنطينة.
50- عيسى حماد عبد العزيز: صراع الإنسان ضد وحش الصحراء، عند أصحاب المعلقات الجزائر،1990.
51- محمد موسولي، محمد الغماري، شاعر الإسلام، رسالة دكتورة غير منشورة، ط1، تلمسان،2002.

المجلات:

52- جريدة الشروق الثقافي متابعات ،العدد:20 ،الأسبوع من:9-16 ديسمبر،1993.
53- حلمي إبراهيم عبد الفتاح: الغربة في شعر أسامة بن منفذ، مجلة مؤتة، جامعة مؤتة، الأردن، مجلد8،ع1993،2.
54- قبلان المحالي: العلاقة بين الإختصاص الأكاديمي وبعض جوانب الإغتراب وفقا لمقاييس دواين دين، دراسة ميدانية، مجلة اليرموك، الأردن،ع1993،4.
55- نبيل راغب مفهوم الإغتراب في الأدب، مجلة الفيصل،دار الفيصل، ع96، مارس 1985،
56- أحمد أبو زيد، الإغتراب مجلة عالم الفكر، الكويت،العدد الأول،مج1979،1.

فهـرس الموضوعات

– **مقدمة** _____ أ - ب
– **مدخل : سيرة مصطلح الإغتراب**_____ 2

الفصل الأول:- **الاغتراب في الشعر العربي:**
1 – تعريف الاغتراب: _____ 6
أ - لغـة. _____ 6
ب - إصطلاحا. _____ 8
2 - أسباب الإغتراب: _____ 11
3 – الإغتراب في الشعر العربي قديما وحديثا: _____ 15
أ – قديمـا: _____ 15
1- في الشعر الجاهلي. _____ 15
2- في شعر صدر الإسلام. _____ 18
3- في الشعر الأموي. _____ 20
4- في الشعر العباسي. _____ 22
ب – حديثـا. _____ 24
1- في الشعر الحديث. _____ 24

2- في الشعر المعاصر. ـــــــــ 28

الفصل الثاني: الاغتراب في شعر مصطفي محمد الغماري: النموذج التطبيقي: " ديوان أسرار الغربة "

1 – الشاعر: ـــــــــــــــ 33
أ - حياتــه. ـــــــــــ 33
ب - نتاجه الشعـري. ـــــــــ 33
2 - مظاهر الإغتراب في شعــر الغمـا ري: ـــــــ 37
أ - الثورة على الواقـع. ـــــــــ 37
ب - الهروب من الواقع. ـــــــــ 45
ج - التـشاؤم والحـزن. ـــــــــ 52
3 – أثـر الإغتراب في لغة الغماري الشعرية: ـــــــ 57
أ - **المفردات والعبارات.** ـــــــــ 57
ب - **الأسلوب:** ـــــــــــ 61
- التكرار. ـــــــــــ 62
- التشخيص والتجسيد. ـــــــ 64
- التقابل والتضاد. ـــــــــ 65
ج - **الرمـز.** ـــــــــــ 66
- الرمز الديني. ـــــــــ 68
- الرمز الصوفي. ـــــــــ 68
- الرمز الأسطوري. ـــــــــ 69
د - **الصورة الشعرية.** ـــــــــ 71
– الخاتمــة: ـــــــــــــ 75
– قائمة المصادر والمراجع : ـــــــــــ 77
– الفهــرس: ـــــــــــــ 81